

الأرشيدوق ليدونج سلافتور

تاريخ الرحلة إلى مصر وبلاد الشام

ترجمة وتقديم وتعليق

أحمد إبراهيم الصيفى

91
L




المكتب العربى للمعارف

الأرشيدوق ليدونج سلافتور

تاريخ الرحلة إلى مصر وبلاد الشام

ترجمة وتقديم وتعليق
أحمد إبراهيم الصيفى

الناشر
المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : تاريخ الرحلة إلى مصر وبلاد الشام
اسم المؤلف : الأرشيدوق ليدونج سلافتور
اسم المترجم : أحمد إبراهيم الصيفي
تصميم الغلاف : شريف الغالي

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للناشر

الناشر
المكتب العربي للمعارف

26 شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة
تليفون/ فاكس: 01283322273–26423110
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى 2016

رقم الإيداع : 2016/25148
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978-977-276-949-0

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر ويحظر النقل أو الترجمة أو الاقتباس من هذا الكتاب في أي شكل كان جزئيا كان أو كليا بدون إذن خطي من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى كل الدول العربية . وقد اتخذت كافة إجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية الحقوق الفنية والأدبية .

هذه الترجمة العربية للنسخة الإنجليزية

Caravan Route Between Egypt and Syria

مقدمة

كانت الرحلة وما تزال هوسُ أصاب عقول الرحالة قبل قلوبهم، فدونها يظل الانسان عاجز عن اكتشاف عالمه المحيط. وكانت قد لاقت هوى فى قلوب الرحالة وذلك لأن حب الحركة والانتقال كان من الأشياء التى فطر عليها الانسان. ولم تكن الرحلة يومًا مقتصرة على فئة دون غيرها أو جنس دون آخر بل شملت الجميع عربًا كانوا أو أجانب. من ذلك كان الرحالة الألمان ليدونج سلافتور الذى وضع الرحلة التى نحن بصددها.

وكما نعلم أن من أراد السيطرة على العالم؛ لابد وأن يبدأ أولًا بالسيطرة على مصر، ولهذا كان غرض ليدونج سلافتور أن يساعد فى ذلك. فقد كانت رحلته محاولة لمعاينة الطريق البرى بين مصر وبلاد الشام لأهداف تجارية استعمارية. ولم يتأتى لأى رحالة المضى فى رحلته إلا إذا توفرت فيه مقوماتها كالمحصلة الثقافية والعلمية، إضافة لعينه الفاحصة التى هى كما آلة التصوير.

وتتجلى أهمية الرحلة فى كون مؤلفها سليل لإحدى الأسر النبيلة فليدونج سلافتور كان ابنًا للدوق ليوبولد الثانى وأمه هى مارى انطوانيت وبالتالى هى فرصة للتعرف على ملامح تلك المنطقة بعيون غربية ملكية. كذلك تتجلى الأهمية فى كونها توضح إحدى المشاريع الاستعمارية التى دبرت للمنطقة، وكذلك تصور الموقف الاستعمارى لمؤلف الرحلة والذى بدت وجهته فى بداية الرحلة حينما أشاد بالمسيو ديليسبس.

تتجلى الأهمية بالرحلة أيضًا فى سردها لملامح الطريق البرى بين مصر وبلاد الشام فى القرن التاسع عشر وكذلك ذكره لمحطات غير موجوده فى القواميس الجغرافية الأخرى، وكذلك وصفة للأهمية الاقتصادية للطريق وفى وقت كان معظمه واقع تحت سيادة الباب العالى.

وتتألف تلك الرحلة من مقدمة و عشرة أقسام؛ الأول: القنطرة. الثانى: بئر النص وقطيا. الثالث: من قطيا إلى بئر العبد. الرابع: بئر العبد إلى بئر المغارة. الخامس: بئر المغارة إلى العريش. السادس: العريش. السابع: من العريش للشيخ زويد. الثامن: من الشيخ زويد إلى خان يونس. التاسع: خان يونس. العاشر: من خان يونس إلى غزة.

دونت الرحلة فى بداية الأمر باللغة الألمانية، وصدرت لأول مرة عام 1879م بعنوان **" Die Karawanen strasse Von Agypten NachSyrien** وفى عام 1881م صدرت الترجمة الأولى للرحلة باللغة الانجليزية والتى قام بها **HesseWartegg** وترجمها عن الأصل الألمانى. وجاءت تحت عنوان **" Caravan Route Between Egypt and Syria "** ثم فى عام 1885م صدرت الترجمة التشيكية بعنوان **" Karavanska C esta Z Egyptu do Syrie".**

وما نحن بصددها الآن الترجمة العربية الأولى، والتى قمت بنقلها عن الترجمة الانجليزية السابقة، وقد أوردتها تحت عنوان " تاريخ الرحلة بين مصر وبلاد الشام " حت يكون العنوان أعم وأشمل. وبخصوص تلك الترجمة فقد قسمتها لأربع أقسام. القسم الأول: أعددت به دراسة مفصلة عن مؤلفها ليدونج سلافتور. وفى القسم الثانى: قمت بعمل دراسة نقدية مفصلة عن الرحلة من

أسباب القيام بها، والصعوبات التى اعترتها، ومنهج سلافتور فى الكتابة ومصادر معلوماته. وكذلك الرحلة وخط سيرها ومراحل إعدادها وأهم شخصياتها وأبرز الإشارات الاقتصادية. وكذلك أبرز المغالطات التى أوردها مؤلف الرحلة.

وفى الجزء الثالث أوردت النص المترجم، وبه حاولت تقديم نص ملائم للقارئ العادى بلغة متوازنة بعيدة عن التكلف وعن الدنو، ولكن فى بعض العبارات أوردتها كما هى كما لو قلنا حرفيًا مثل الصور البلاغية حت يتجلى معناها الحقيقى. وبهوامش النص المترجم قمت بعمل توثيق للأماكن الموجودة فى الرحلة وحاولت تحديد أماكنها فى الوقت الحالى. وحاولت توضيح بعض عبارات التجنى التى أبداها الؤلف على لشعوب الشرقية وكذلك بعض مغالطاته.

وفى الجزء الرابع أوردت ملاحق خاصة بالرسالة وهى الرسوم التصويرية التى رسمها ليدونج سلافتور بنفسه.

وفيما بعد أعتقد أن نشر ذلك العمل سوف يضيف للمكتبة العربية وللقارئ العربى وذلك لكونه وصفًا لمصر وبلاد الشام بعيون غربية. وأخيرًا أتمنى أن ينال هذا العمل إعجابكم وإعجاب القراء

أحمد إبراهيم الصيفى

ـــــ التحقيق ـــــ

(1)

ولد **ليدونج سلافتور** فى الرابع من أغسطس عام 1847م، فى منطقة **بلازو بيتى**، هو الابن الرابع من خمسة أبناء للدوق الكبير " **ليوبولد الثانى** "، وزوجته التى تنحدر من نسل **نابليون** " **مارى انطوانيت** " ابنة الملك " **فرانز الأول** " ملك **سيسلى**. وربما كان هذا يعنى للوهلة الأولى أنه نشأ نشأة الشاب النبيل فى تلك الفترة. وكان من قام بتعميده عند مولده المعمد الدومينيكانى " **رينير فرديناد** "، و " **كارل زينوبيوس انطويوس** ".

وقد اتسمت الأوضاع السياسية التى أحاطت " **بليدونج سلافتور** " بالاضطراب، وهذا بدوره أثّر على نمط حياته، وجعله وأسرته فى ارتحال دائم؛ ونتيجة للتمرد الذى ساد حصن " **جسيتا** " فى الناحية الشمالية الغربية من " **نابولى** " عام 1849م فر **ليوبولد الثانى** وأسرته بعيدًا، ولكنه لم يلبث أن عاد مرة أخرى إلى " **فلورنسا** " بعد حوالى عام واحد.

قضى **سلافتور** فترة من الوقت فى " **ميونخ** " **بألمانيا** ولاسيما بداية من عام 1855م. واستهل عام 1857م بانتقاله إلى **سويسرا** حيث أقام هناك. تلك الإقامة التى أتاحت له زيارة ومعرفة العديد من المدن هناك. وغير معروف إذا كان هذا الانتقال بدافع سياسى من عدمه، فلم يمض طويلًا حتى أطلت الظروف السياسية برأسها مرة أخرى عام 1859م حينما قامت حرب التحرير الإيطالية بين **النمسا وسردينيا وفرنسا**، وعلى إثر ذلك انتقل **ليوبولد** هو وأسرته من فلورنسا صوب المقاطعات البوهيمية **بالتشيك**، وفى العام التالى حصل منها

على " **برانـــديس** "؛ وهى مقاطعة تقع إلى الشرق من مدينة " **بــراغ** "، وهـــى نفسها المقاطعة التى ملكها **ليدونج سلافتور** فيما بعد.

كانت كافة الظروف التى مر بها **ليدونج ســلافتور** وعائلتـــه جعلـــت الرحلة والانتقال شئ أساسى، وربما هى من حببت إلى نفسه الارتحال إلى كثير من الأماكن ولهذا نراه فى عام 1861م يقوم بأُولى رحلاتـــه الرســمية إلـــى " **البندقية** " والتى استمرت ثلاث سنوات عاد منها صـــوب " **بــراغ** "؛ ليكمـــل دراسته هناك، فقد درس على يد أساتذة القانون والفلسفة بقســم الإمبراطوريـــة الملكية بجامعة كارل فرديناند، وكذلك بجامعة " فاين " للآداب فى **براغ**.

ووفقًا للتقاليد الحربية آنذاك مُنح **ليدونج سلافتور** مرتبة كولونيل عـــام 1865م، وفى ذلك العام أيضًا قام بزيارة البحر الشمالى لجزيرة " **هيل جولانـــد** ". علاوة على ذلك أصبح عضوًا فى الجمعية النباتية الحيوانية فى " **البندقية** " . وفى العام التالى أصبح قائدًا للنظام العسكرى الإمبراطورى الملكى رقـــم 58. ورغم تلك المناصب التى قد تحمل له قدرًا من الزهو والبهجة، إلا أنه فى ذلك العام تلقى ضربات موجعة تمثلت فى وفاة اثنين من أقرب وأحب الأشـــخاص إلى قلبه: الأولى: هى " الأرشيدوق **ماتيلدا** " ابنة الأرشيدوق **مارشال البرخت**، والتى يقال إنها كانت خطيبته حيث لاقت حتفها متأثرة بجروحها فـــى " قلعـــة **هيتزتوف** " بالقرب من " **فيينـــا** " فى السادس من يونيه من العام ذاته. والثانى: هو " الأرشيدوق **ماكسيليمان** " إمبراطور **المكسيك**، وهو ابن عم ليدونج حيث تم إعدامه فى ذلك العام.

وربما نتيجة للذكريات السيئة التى لحقت **بليدونج سلافتور** فـــى ذلـــك العام؛ أن سافر فى صحبة حاجب الملك ومعلمه " **ايوجينو بارون ســفورزى** "

فى دراسة علمية لأول مرة إلى جزر " **البليار** ". كذلك فقد حصل فى الخامس من نوفمبر من نفس العام على وسام الشرف النمساوى من الصوف الذهبى.

لم يكن **ليدونج سلافتور** يرتحل فقط لمجرد الرحلة أو الزيارة أو حتى الدراسة، ولكنه لم يترك صغيرة وكبيرة فى رحلاته إلا سجلها ودونها، ولهذا نراه فى عام 1868م يصدر أول كتابين له: أحدهما بالفرنسية وهو خاص برحلته " **للبندقية والساحل البندقى** "، والآخر عبارة عن مقارنة بين مشاهداته لكل من " **فالنسيا** " **بأسبانيا** و" **هيل جولاند** ". وقد تبع ذلك فى العام التالى بزيارة **الجزر الليبرية** والتى كانت من أكثر الأمور أهمية فى أدب **سلافتور** خصوصًا بعد مؤلفه الضخم المسمى **بجزر البليار**.

ولم يمض زمن طويل على " **ليدونج سلافتور** " حتى تجددت أحزانه مرة أخرى عام 1870م حيث توفى والده **ليوبولد الثانى** أثناء إقامته فى **روما**. وطبقًا لنظام الحكم فإن **ليدونج سلافتور** أصبح وريثًا لمقاطعة " **براندیس** "؛ ونتيجة لذلك التطور انتقل **سلافتور** إلى **بوهيميا** فى " **براغ** "؛ ليتعلم الإدارة والحكم السياسى لأرض هذه المملكة وتاجها الضخم.

كانت بعض رحلات **ليدونج سلافتور** مقترنة بالدراسة العلمية، ففى عام 1871م أصدر أوامره بإنشاء السفينة " نايكس 1 "، وسافر إلى " **مايوركا وجزيرة أسبانيا** " للدراسة. وفى العام التالى استولى على " **ميرامار** " وحينها قرر جعل **مايوركا** سكنه الأساسى ثم سافر إلى **قبرص** للدراسة. وفى ذلك العام نفسه أصبح ليدونج **سلافتور** عضوًا فى " جمعية **فلورنسا** للحشرات ".

كان للشرق نصيب من رحلات وزيارات **سلافتور** فبعد أن أنهى رحلته العلمية فى **قبرص** عام 1873م؛ توجه إلى زيارة " **بيت المقدس** " حيث زار **القدس**، و**الناصرة**، و**بيت لحم**، و**البحر الميت** ثم توجه إلى " **مصر** " فوصف الأهرامات، ومنها انتقل صوب " **فيينا** " لحضور المؤتمر العالمى، ثم ارتحل إلى **مايوركا** على متن باخرته " نايكس1". وفى العام التالى قام برحلاته على طول الساحل الشمالى الأفريقى.

بدأ **ليدونج سلافتور** بعد ذلك التوسع فى أملاكه فى **مايوركا**؛ وذلك عن طريق الحصول على ممتلكات ومقاطعات " **سون جالران** "، و " **كاناماتجنى** "، و" **كنكلو** ". وفى عام 1875م أصبح عضوًا فى " الجمعية الجغرافية الملكية الأمبراطورية **بفيينا** ". كذلك شارك فى المؤتمر الجغرافى العالمى فى **باريس**، واستلم خطابات التميز. كما حصل على ميدالية ذهبية عن مؤلفه جزر **البليار** فى عام 1878م من المعرض العالمى **بباريس**. كذلك حصل على دبلومة شرفية من الطبقة الأولى عن كتابه السابق فى العام 1881م وذلك فى المؤتمر الجغرافى **بفيينا**. وفى العام نفسه أصبح عضوًا شرفيًا " بالجمعية الجغرافية الملكية **بلندن** "، وفى " **متز** " بشمال شرق **فرنسا**.

بداية من عام 1893م بدأ الأرشيدوق **ليدونج سلافتور** يتلقى المزيد من الضربات والأحزان ، كانت أولها فى ذلك العام حيث تحطمت سفينة نايكس1 قبيل **الساحل الجزائرى المتوسط**. وفى العام التالى تلقى الضربة الثانية حيث توفى معلمه " **ايجينو سفورزى** "؛ ذلك المعلم الذى قدم إلى **سلافتور** خدمات جليلة لمدة أربعون عامًا. وفى جزءٍ من الشعور بالسعادة وإضفاء البهجة عليه

لما أصابه من ضربات؛ استطاع فى عام 1895 أن يحصل على باخرة تدعى " هيرتا " من الأمير " **جوزيف أوف ليختنشتاين** " وقام بتسميتها " نايكس2 ".

لم يدم ذلك الفرح وتلك السعادة طويلًا؛ فما هى إلا أعوام ثلاثة تقريبًا حتى تلقى ضربات موجعة جدًا ففى سبتمبر عام 1898م توفت الملكة **اليزابيث** فى **جنيف**، وكذلك توفت والدته؛ " **مارى انطوانيت** " فى أورث فى نوفمبر من العام ذاته. وربما قد يكون حصوله على ميدالية هاور من الجمعية الجغرافية الملكية **بفيينا** ما هدأ من روعه قليلًا بعد تلك الصدمات.

وفى العام 1899م واصل **ليدونج سلافتور** رحلاته ولاسيما على متن سفينته نايكس2 فانطلق فى رحلة صوب **الأرض المقدسة**، وهى رحلة صاحبه فيها " **ايستاكا مديد** "، و " **كتالينا هومر** "، وخلال تلك الرحلة حصل على بعض الممتلكات والقصور فى مدينة " **الرملة** "، وكذلك فى منطقة " **سان استيفانو** " بالقرب من **الأسكندرية**. وبعد تلك الرحلة ولاسيما فى عام 1900م أحس **ليدونج سلافتور** بدنو أجله ولهذا نراه فى ذلك العام يضع وصيته، وفيها ذكر ورثته وهم أطفاله، وسكرتيره وصديقه " **انطونيو فيفز** ".

بالاضافة لما سبق قام **ليدونج** عام 1903م بالمشاركة فى المؤتمر الفيلولوجى فى **أثينا**. كما أصبح عضوًا دائمًا فى " المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى " **بنيويورك** بداية من عام 1909م، وكذلك أصبح رئيسًا شرفيًا للمؤتمر الجغرافى العالمى الخامس فى **روما** بداية من عام 1910م.

وما أن جاء عام 1913م حتى بدأ **ليدونج سلافتور** يعانى من داء الفيل وهو تضخم فظيع فى طبقات الجلد، ولهذا كان يعانى من ورم فى أذرعته

وقدمه. وفى الثانى عشر من أكتوبر من عام 1915م فقد **ليدونج سلافتور** وعيه فى ساعات الصباح، ثم غاب عن الوعى، وتوفى فى الساعة الثانية والنصف ظهرًا نتيجة تسمم فى الدم نتيجة لعملية جراحية فى ساقه. وفى الثامن من أكتوبر تم دفنه. ولكن فى الحادى والعشرين من مارس لعام 1918م تم نقل رفاته إلى **فيينا** وتم دفنها فى القبو الملكى الأمبراطورى هناك.

وأخيرًا ترك الأرشيدوق **ليدونج سلافتور** من بعده مكتبة تاريخية، جغرافية، نباتية، وحيوانية..إلخ. وهذه قائمة بالكتب والرحلات التى استطعنا أن نحصرها له:

(عام 1868م)

1. Excursions Artistiques dans la Vénétie et le Littoral .

رحلة إلى **البندقية والساحل البندقى**.

2. Süden und Norden.

الشمال والجنوب (عبارة عن مقارنة بين **فالنسيا** و**هيل جولاند**).

(عام 1869 م)

3. Beitrag zur Kenntnis der Coleopteren-Fauna der Balearen.

يتعلق بعالم الحيوانات المجنحة فى **جزر البليار**.

4. Tabulae Ludovicinae .

كتاب عن عالم الخنافس فى **جزر البليار**.

(عام 1870 م)

5. DIE BALEAREN. In Wort and Bild geschildert. Grosse Ausgabe in 7 Bänden and 9 Büchern.

كتاب يتعلق بوصف جزر البليار.

6. Tunis - ein Bild aus dem nordafrikanischen Leben.

تونس ـــ صورة من حياة الشمال الأفريقى.

(1871م)

7. Der Golf von Buccari - Porto Re.

وصف خليج بوسارى.

(1873م)

8. Levkosia, Hauptstadt von Cypern.

ليفوسكا عاصمة قبرص.

9. Der Djebel Esdoum - Das Salzgebirge von Sodoma.

جبل ايسدوم، وجبال الملح.

(1874م)

10. Yacht-Reise in den Syrten.

رحلة وصفية الى سيرتن.

(1875م)

11. Einige Worte über die Kaymenen.

بعض العبارات عن جزر كامينى.

(1876م)

12.Eine Spazierfahrt im Golfe von Korinth.

كورنثـــه الســـعيدة فـــى خليـــج الرحلـــة.

(1878م)

13.Eine Blume aus dem Goldenen Land oder Los Angeles.

لـوس أنجلـوس زهـرة مـن الأرض الذهبيـة أو.

(1879م)

14.Die Karawanenstrasse von Ägypten nach Syrien.

طريق القافلة بين مصر وبلاد الشام.

(1881م)

15.Um die Welt ohne zu wollen.

حول العالم دون الرغبة فيه.

16.Die Stadt Palma.

مدينة بالمه.

17.Bizerta and its Future.

بنزرت ومستقبلها.

(1886م)

18.Hobarttown oder Sommerfrische in den Antipoden.

هوبارتون فى الأجزاء المقابلة للأرض.

19.Lose Blätter aus Abbazia.

الصحائف الفضفاضة من ابيازا.

(18م89)

20.Paxos and Antipaxos im Jonischen Meer.

(1890م)

21.Helgoland - eine Reiseskizze.

هيل جولاند ــ قصة مسافر.

22.Eine Yachtreise an den Küsten von Tripolitanien and Tunesien.

رحلة وصفية إلى الساحل الطرابلسي والتونسي.

(1893م)

23.Die Liparischen Inseln.

الجزر الليبرية (يتعلق بوصف منطقة شمال سيسلى).

(1894م)

24.Schiffbruch oder Ein Sommernachtstraum.

غرق السفينة وأحلام الليالى الصيفية.

25.Spanien in Wort und Bild.

أسبانيا فى العبارات والصور.

(1895م)

26.Columbretes.

كولمبريتا (يتعلق بوصف جزر كولمبريتا وشاطئ ساحل فالنسيا).

(1896م)

27.Märchen aus Mallorca.

حكايات مايوركا الخرافية.

(1897م)

28.Benzert.

بنزرت.

29.Die Balearen in Wort und Bild.

جزر البليار فى العبارات والصور (نسخة مختصرة).

30.Cannosa.

كانوسا.

(1898م)

31.Alboran.

البورين (عبارة عن وصف جزيرة صخرية عند **مضيق جبل طارق**).

32.Ustica.

اوستيكا (وصف لجزيرة **أوستيكا** فى شمال غرب **سيسلى**).

(1899م)

33.Bougie, die Perle Nord-Afrikas.

بوجى ــ لؤلؤة شمال **أفريقيا.**

(1900م)

34.Ramleh als Winteraufenthalt.

الرملة منتجع شتوى.

35.Die Insel Giglio.

جزيرة **جيليو** (عبارة عن وصف لجزيرة **أوف ليفورنو** فى **البحر التيرانى**).

36.Bizerte en son passe, son present et son avenir.

(1901م)

37.Panorama von Alexandrette.

بانوراما الاسكندرونة.

(1903م)

38.Sommertage auf Ithaka.

أيام الصيف فى إيثاكا.

(عام 1904م)

39.Zante.

زانيتى.

40.Das, was verschwindet - Trachten aus den Bergen und Inseln der Adria.

الأشياء إلى اختفت ـــ الملابس من جبال وجزر الادرياتيك.

(عام 1905م)

41.Wintertage auf Ithaka.

أيام الشتاء فى إيثاكا.

42.Catalina Homar.

(عام 1906م)

43.Über den Durchstich der Landenge von Stagno.

عن برزخ ستانجو.

(عام 1907م)

44.Parga.

براغ.

(عام 1908م)

45.Versuch einer Geschichte von Parga.

محاولات فى تاريخ براغ.

46.Anmerkungen über Levkas.

ملاحظات عن ليفكادا.

(عام 1909م)

47.Was mancher wissen möchte - Lo que alguno quisiera saber.

بعض ما تود أن تعرفه (كتاب عن المناخ فى مايوركا).

48.Winke für den Besucher von Miramar - Indicaciones a los que visitan Miramar.

طرق الزوار إلى ميرامار.

(عام 1910م)

49.Die Felsenfesten Mallorcas Geschichte und Sage.

الحصون الحجرية فى مايوركا التاريخ والأسطورة.

50.Der Kanal von Calamotta.

قنال كلاموتا.

51.Ithaka.

إيثاكا (هذا الكتاب ملخص لكتابيه لأيام الصيف والشتاء فى إيثاكا).

(عام 1911م)

52.Einiges über Weltausstellungen.

شئ عن المعرض العالمى.

53.Lo que se de Miramar.

دليل مقاطعة **ميرامار**.

(عام 1912م)

54.Somnis d'estiu ran de mar.

مراقبة **الساحل المايوركى**.

55.Sommerträumereien am Meeresufer.

أحلام الصيف على شاطئ البحر.

(عام 1914 م)

56.Porto Pi - In der Bucht von Palma de Mallorca.

فى خليج **بالمه مايوركا**.

57.Lieder der Bäume - Winterträumereien in meinem Garten in Ramleh.

أغانى الأشجار وأحلام الشتاء فى حديقة **الرملة**.

(عام 1915م)

58.Zärtlichkeits-Ausdrücke und Koseworte in der friulanischen Sprache.

أساليب المزايدة وشروط التأثير فى لهجة الفريبولى (آخر عمل ينشر له أثناء حياته).

(عام 1916م)

59.Auslug- und Wachttürme Mallorcas.

أبراج المراقبة والمراقبين فى **مايوركا** (أخر عمل ينشر له بعد وفاته).

(2)

كانت فكرة الطريق بين **مصر** و**بلاد الشام** تشغل بال السير **ليدونج سلافتور**، وكان يشغل باله دائمًا فكرة إقامة خط حديدى حول **الساحل الشامى** وربما عضد تلك الفكرة؛ الأفكار السابقة التى طرحت أثناء إقامة الأرشيدوق **ليدونج** فى **القاهرة** ومنها إقامة ميناء فى **يافا**، وإصلاح ميناء **بيروت**، وأخيرًا مد خط حديدى عبر وادى **الأردن**، ولكن كان إنجاز تلك الفكرة مرهون بمعاينة ذلك الطريق ولذلك قام **ليدونج** بتلك الرحلة ودون كافة ما مر به.

تمثلت صعوبة تلك الرحلة على نحو ما ذكر **سلافتور** فى شيئين: الأول: أنه بإنشاء قناة **السويس** انتقلت معظم حركة التجارة بين **مصر** و**بلاد الشام** عبرها وبالتالى تعطل طريق القوافل البرى كلية وتصحر وزالت معالمه. الثانى: تمثل فى أن تجار المواشى كانوا ينقلون مواشيهم عن طريق بواخر **يافا** وبذلك فإنهم قليلًا ما كانوا يتقابلون عبر الطريق البرى للقوافل ذلك الأمر الذى يعضد الفكرة السابقة بتعطل ذلك الطريق.

منهج سلافتور فى هذا الكتاب:

اتسم **ليدونج سلافتور** خلال رحلته بالدقة والتفصيل وقد اتبع فى ذلك المنهج السردى الوصفى؛ حيث كان يصف كل مكان وكل شئ يمر به خلال رحلته، ولم يكتف بذلك فقط بل كان يبحث فى أصل الأشياء وأسباب حدوثها، وكثيرًا ما كان يميل إلى استخدام الكثير من الصور والتعابير البلاغية مثل " صوارى تلك السفن...تشبه الأشباح المتوارية خلف أمواج الرمال ". ولأنه ليس هناك متعة تقارن بمتعة الصورة فإن **ليدونج سلافتور** قام برسم مايقرب من

ثلاثة وعشرين صورة وذلك بريشته؛ ليجمع مابين الوصف اللفظى والوصف المصور، وهذا الأمر كان سمة تلك الفترة بأكملها.

أما مصادر معلومات الأرشيدوق فى رحلته فيمكن إجمالها فى نواح أربعة: كالآتى:- حيث كانت 1- الملاحظة والمعاينة المباشرة المصدر الأساسى له فى وصف طريق الرحلة. 2- معلوماته التى استقاها من بعض الأفراد كالبدو المنتشرين على طول الطريق 3- المعلومات التى أخذها من رجال بعض الهيئات الحاكمة فى **العريش** أو فى **خان يونس**. 4- خبرته العلمية التى سبق وأن نوهنا عنها.

مسار الرحلة وأفرادها:

انطلق **ليدونج سلافتور** برحلته عام 1878م من **القنطرة** صوب **بلاد الشام**، وكانت قافلته تتألف من عشرة أفراد وهم كالآتى: الأرشيدوق **ليدونج سلافتور**،وشخص يدعى **فيفز** وهو سكرتيره وصديقه، وقائد القافلة الشيخ **أبو نبوت**، وأربعة من المكاريِّة أحدهم يدعى **أحسن**، وإثنين من الجمَّالة وهم **داوُد وحسن** إلى جانب الصبى المصرى القائم على أمر المطبخ. وكان ذلك العدد خلال مسير القافلة قابل للزيادة والنقصان وذلك وفقًا لما يطرأ عليها من أمور؛ فخلال رحلتها من القناة صوب منطقة **بئر النص** انضم إليها اثنان من البدو لتقديم المساعدة مقابل الحصول على البقشيش. كذلك انضم للقافلة عند **بئر المغارة** شخصان آخران من الزهاد من **أسيا الوسطى**. علاوة على ذلك كان العدد قابل للنقصان مثل فصبى المطبخ الذى تركوه عند **البريج** عاد فانضم إليهم مجددًا عند **بئر المغارة**، وكذلك قائد القافلة **أبو نبوت** الذى قبض عليه فى **العريش** وتم إرساله إلى **القاهرة**.

رافق قافلة **ليدونج سلافتور** حامية عسكرية ولكن لم نستطع أن نحدد عدتها وذلك لأن **سلافتور** لم ينوه عنها ولكن يمكننا أن نعرف حجم الحامية التى ألحقت بها فيما بعد؛ فحاكم **العريش** زود القافلة بشخص يدعى **رمضان** قوى البنية لحمايتها، وبالمثل زودها حاكم **خان يونس** بحامية قوامها سبعة أفراد ثلاثة من الفرسان وأربعة من المشاة وبذلك يكون عدد أفراد القافلة إضافة للحامية عند انتهاء الرحلة عند غزة واحدًا وعشرين شخصًا.

أما عن دواب القافلة فقد تألفت من سبعة جِمالٍ، وسبعة خيولٍ، وخمسة بغالٍ، وثلاثة حميرٍ.وعن أمتعتها فاحتوت على أربعة خيامٍ؛ اثنين منها للنوم، وواحدة كمطبخ، وأخرى لتناول الطعام. كما احتوت على بعض الأمتعة الأخرى كالملابس، والأطعمة، وعلف الحيوان، وقراب المياه. وفى ذلك ذكر **ليدونج سلافتور** شيئًا غريبًا ولاسيما عند منطقة بئر النص، وهو تحميل الأمتعة على الخيل رغم أنها ليست وسيلة للتحميل، وربما مايفسر ذلك أن هذه القافلة كانت مجرد رحلة استكشافية وليست رحلة تجارية، وبالتالى ليس هناك مشكلة من تحميل الأمتعة عليها.

يمكننا من خلال رحلة **ليدونج سلافتور** أن نصل لتنظيم سير القوافل فى أواخر القرن التاسع عشر. فحينما يستكمل أفراد القافلة متطلبات رحلتهم يبدأ الجميع فى الانطلاق حيث يأتى فى المقدمة قائد القافلة " **أبو نبوت** " وتتجلى مهمته فى قيادة القافلة، ومراقبة الطريق، علاوة على ذلك كان يتأكد من سلامة المواد الغذائية ولاسيما تأكده من سلامة قراب المياه قبل الانطلاق. وخلف ذلك القائد تأتى البغال والحمير المحملة بالأمتعة والمؤن ومعها الخربندية أو المكارية القائمين عليها والمسئولين عن تحميلها.

وفى المرتبة الثالثة يأتى أفراد القافلة من المسافرين، ويمتطى غالبيتهم الخيول، وربما كانوا فى ذلك الترتيب حتى يتم توفير قدر لابأس به من الحماية لهم. كذلك ربما ينازع أحد هؤلاء المسافرين قائد القافلة فى قيادته لها، وذلك إذا كان ذو قدر كبير مثل **ليدونج سلافتور** الذى كان ينازع الشيخ **أبا نبـوت** فـى قيادة القافلة؛ فكان يصدر الأوامر والتعليمات للخربندية بتنزيل وتحميل الأمتعة على البغال. إضافة لذلك ربما تولى ذلك الأرشيدوق قيادة القافلة بمفرده عنـد **العريش**، وذلك عندما تم القبض على الشيخ **أبى نبوت** وتم إرساله إلى **القاهرة**.

وفى مؤخرة القافلة جاءت الجِمال وكذلك الأشـخاص القـائمين علـى خدمتها المعروفين بـــ " الجَمّاله ". وخلال مسيرة القافلة قد تتخطى الجمـال أفراد القافلة الذين بدورهم يصبحون فى المؤخرة ذلك راجع إلى سببين: الأول: هو إما لسرعة الجِمال من ناحية، والثانى: أن تلك القافلة مجرد رحلة استكشافية وبالتالى تسير الهوينا، وذلك يعد ثمة لأفرادها لتتيح لهم المزيد من الاستكشاف والتحرى أثناء الرحلة.

أما باقى أفراد الحامية فلا نعلم على وجه التحديد موقعهم، ولعلهم كانوا يسيرون على الجانبين، أو ينتشرون على طول القافلة حيـث كـانوا يركبـون الجمال الهجن، وكانوا مسلحين بالسيوف الطويلة والأسلحة النارية.

وقت مسير القافلة:

كانت قافلة **ليدونج سلافتور** لاتسير مطلقًا بالليل، ولكن تسير دائمًا فى الصباح، فكانت تنطلق فى السادسة صباحًا، ولاسيما خلال الرحلة من **بئر العبد** إلى **بئر المغارة**، ولكن كان الوقت الثابت المعتاد للانطلاق دائمًا هو فى السابعة

والنصف صباحًا. وخلال مسير القافلة كانوا يتوقفون أكثر من مـرة للراحـة وتناول الأطعمة وعندئذ كانوا ينصبون خيامهم فى بعض التجـاويف المغطـاة بالأشجار والشجيرات وذلك لتحميهم من لفح العواصف.

تمكن **ليدونج سلافتور** خلال رحلته من أن يرسم بقلمه معالم الطريـق بين مصر وبلاد الشام بطريقة رائعة، بل وذكر محطات لم ينوه عنها غيـره، لدرجة أن هناك بعض المناطق التى ذكرها لم نجد لها أيـة ذكـر فـى كتـب الجغرافيا والمسالك. وكانت تلك المعالم كـالآتى: **السـويس** وهـى محطـة الانطلاق، ومنها إلى **القنطرة**، ثم إلى منطقة نخيل **زايجـه**، ومنطقـة نخيـل **العوجه**، ومنطقة نخيل **الغريبات**، وبئر **النص**، ومجموعة نخيل **التحتى**، **وقطيا**، ومنطقة **بارسات مان**، وبئر **العفن**، وبئر **العبد**، وبئر **المبروكـة**، و**الباصـول**، و**البريج**، و**المستبق** " **المستبك** "، وبئر **المغارة**، وبحيرة **البردويـل**، و**غريـف الجمل**، وبرج **الحشيش**، ومنطقة نخيل **أبو شيه**، **والعريش**، وقبر **النبى جاسر**، ووادى **الجيردى**، ووادى **الخروبة**، و**الشيخ زويد**، و**لزجه**، و**عرفـه**، ورفـح، **وخان يونس** وعند تلك المنطقة يتفرع الطريق إلى أربعة طرق: الأول طريـق **العريش**. والثانى: طريق **السويس العقبة**. والثالث: طريق **غـزة**. والأخيـر: طريق **بنو سهيله**. ومن **بنو سهيله** إلى **عبسان**، ثم **دير الـبلح** " **الـداروم** "، و**غزة** التى كانت المرحلة الأخيرة للرحلة.

كان **سلافتور** كثيرًا مايحدد المسافات بين المحطات بالساعات فيقـول على سبيل المثال " ذلك المكان أدركناه فى غضون سـاعة ونصـف ". وفـى المحطات الهامة من ذلك الطريق يوجد مبنى للحجر الصحى، والذى يحول دون انتشار الأمراض والأوبئة؛ بأن يوقع الكشف على المسافرين ويصـدر وثيقـة

صحية بخلوهم من الأمراض، وهذه الوثيقة تساعدهم فى المرور من منطقة لأخرى؛ ولهذا نرى **ليدونج سلافتور** يذكر اثنين من تلك المبانى إحداها فى **العريش**، والآخر فى **غزة**.

ذكر **ليدونج سلافتور** شئ فى غاية الأهمية وهى أن قافلته كان يتم استقبالها وتوديعها من أفراد البلاد، وذلك مثلما حدث معه عند دخول مدينة **العريش** حيث استقبله عدد من الرجال خارج سور المدينة، وعند رحيل القافلة منها خرج حاكم المدينة ومعارفه وأهم شخصياتها لتوديعه. نفس الأمر حدث للقافلة عند منطقة **خان يونس**. وكان هناك أيضًا استقبال من نوع آخر للقافلة تلقاه من البدو مثلما حدث فى **الشيخ زويد** ذلك الأمر الذى أرجعه **ليدونج سلافتور** إلى رغبة هؤلاء البدو فى الحصول على البقشيش. وهذا الأمر كله يؤكد أن القوافل فى ذلك الوقت كانت تلقى الاستقبال والتوديع وربما كان هذا الأمر إذا كانت القافلة ذات قدر كبير لوجود شخصية هامة بها، وربما كان نتيجة لكبر حجم المدينة التى تمر بها القافلة، أو أنها عامرة ومأهولة بالسكان.

أهمية البريد خلال الرحلة:

وحتى يستقيم أمر الطريق بين **مصر وبلاد الشام** تقفى ليدونج **محطات** البريد عبره، وخلال ذلك الاقتفاء ذكر معلومات فى غاية الأهمية منها على سبيل المثال: أن البريد كان يرسل عبر ذلك الطريق بشكل أسبوعى ولاسيما بين **العريش** والعالم الخارجى كأحد وسائل الإتصال الهامة. وكذلك ذكر بعض الاحتياطات التى كان يتم إتخاذها بتلك المحطات البريدية؛ حيث كان يتم تزويدها بالأسلاك والعوازل التى تتجلى مهمتها فى حفظ البريد إذا ما حدث بها بعض التدمير جراء بعض الرياح المدمرة.

إضافة لذلك تم تزويدها ببعض الخدمات البريدية، وفى بعض الأحيان كان يلحق بها بعض المنازل والحظائر المملوءة بالطيور من الدجاج، والديوك الرومى، والحمام، والبط وربما كان وضع ذلك من أجل سد حاجة أفراد هذه المراكز من الغذاء ومن الراحة. وكانت خريطة المحطات البريدية التى رسمها ليدونج كالآتى: بريد **القنطرة**، و بريد **قطيا**، و بريد **بئر العبد** على مقربة من سلسلة جبال **المغارة**، ومحطة بريد فى منتصف الطريق بين **بئر العبد** وجبال **المغارة**، و بريد **بئر المغارة** بجوار قبة **الشيخ سليمان**، ومحطة بريد **العريش** المسماه بمحطة **الخديو**، و بريد **الشيخ زويد**.

كانت **العريش** واحدة من المدن التى وصفها السير **ليدونج سلافتور** وكان وصفه لها أكثر من وصفه لبقية المدن الأخرى، وربما يرجع ذلك لكونها أكثر نبضًا بالحياة، ولكونها مدينة على طريق القوافل وتجارتها قائمة على الأخيرة ولهذا استهل حديثه عنها بذكر موقعها الجغرافى، وظروفها المناخية، وتعدادها السكانى.

وفى معرض حديثه عن المدينة ناقش مسألة ثروة أفرادها، وأنها قائمة على مايمتلكونه من الإبل، فى حين نجد أن الغالبية منهم فقراء. وفى نفس السياق عرض الكثير من المعلومات عن ثروة المدينة الحيوانية والسمكية والنباتية.كما تحدث عن بعض الصناعات القائمة مثل إعداد الأسماك المملحة من أسماك **بحيرة البردويل**، وصناعة السكر القائمة على أشجار النخيل هناك، ويبلغ عددها ستة آلاف نخلة إضافة لقيام صناعة البلح العجوة الذى يتم تصديره. هذا إلى جانب بعض الحرف الأخرى كصناعة المعاطف الشتوية من جلود الأغنام، وصناعة الزكائب من شعر الجمال، وصناعة الطواقى.

وتحدث أيضًا **سلافتور** عن تجارة المدينة وأنها عبــارة عــن تجــارة ترانزيت قائمة على حركة القوافل المارة بتلك المنطقة. كما أشار إلى صادراتها ووارداتها ولم يكتف بذلك بل ذكر بعض الأسباب التى ساهمت نوعًا مــا فــى تدهور تلك، التجارة ومنها إنشاء **قناة السويس**، والتى ساهمت فى أن أصــبح شطرًا كبيرًا من تجارة جنوب **بلاد الشام** يأتى بحرًا عبر القناة وبالتالى ساهمت فى اندثار طريق القوافل البرى.

ورغم قصر الفترة التى قضاها **سلافتور** فى **العريش** والتى تقدر بأيــام معدودة، فإنها كانت مناسبة له كى يرصد ملامح الهيكل العمرانى للمدينة؛ فقــد ذكر قلعة **العريش** ووصف موقعها، وهيئتها، وأبراجها، ونقوشــها، وأبوابهــا، وقاعاتها، ومحاريبها، وأثاثها، ومنافذ تهويتها، ومخازن أسلحتها. كما وصــف بعض المقابر الموجودة هناك. وكذلك مبانى المدينة، وهيئتها، وطريقة بناءها، وأخيرًا طرقها. وبطريقة موجزة تحدث عن آبار **العريش**، وكذلك طريقة معيشة أفرادها.

وقد حظيت مدينة **خان يونس** أيضًا بمكانة لدى **ليدونج سلافتور**، ولكن وصفها كان أقل مرتين من وصف مدينة **العريش**، وربما ما جعله يصفها هــو أهميتها لكونها آخر أماكن سيادة الباب العالى ولكن وصفه لها اتصف بالسرعة الشديدة ولعل ذلك كان نتيجة لأنها فى نهاية الرحلة وكونه متلهفًا لرؤية **الأرض المقدسة**؛ فذكر التعداد السكانى بها، والعوامل المؤثرة فى تناقصه كغارات بدو **الترابين** عليها. كما تحدث أيضًا عن أولئك البدو، وغاراتهم، وثرواتهم، وكــذا حامية المدينة، وعددها، وهيئة أفرادها.

فضلًا عن ذلك تحدث عن مدارس **خان يونس**، وتحدث عـن الطبيعـة الجغرافية للمدينة، وهيئة منازلها، ثم وصفًا لقلعتها بأبراجها، وأقبيتها، وأبوابها، وكواتها، ومسجدها، وقبابها، وكذلك طرق المدينة التى سبق ذكرها من قبـل. كما تحدث بشكل مقتضب عن إقتصاد المدينة والقائم علـى تربيـة الماشـية؛ فتحدث عن سوق المدينة، وهيئته، ومحاله، وبضائعه المجلوبة من **غزة** و**يافـا** إلى جانب المنتجات المحلية الصنع. ويبدو أن الإيجاز كان سمة **ليـدونج**؛ لـذا تحدث بشكل مقتضب عن آبار المدينة، وصهاريجها، وأشجارها، وطيورهـا، وحيواناتها.

الفنادق والخنادق:

ونظرًا لطول مسافة الطريق بين **مصر** و**بلاد الشام** والتى ربما تقطـع فى عدة أشهر فإن ذلك كان يحتم على أفراد القافلة المبيت بشكل يـومى فـى الخيام، ولكى يصبح ذلك أكثر راحة لهم، فإنهم حينما يمرون ببعض الخانـات والفنادق المنتشرة على طول الطريق والتى تتوفر بها سبل الراحة ولهذا سـرد **ليدونج سلافتور** قدرًا ضئيلًا منها مثل فندق **القنطرة**، وخان **العريش**، وخان **دير البلح**، وربما كان ضآلة عددها راجع إلى اندثار الكثير من تلك الخانات علـى مر التاريخ. ويمكن أن تضاف لتلك الخانات، الأبراج والقلاع والتى قد يبيـت فيها أفراد القوافل كقلعة **قطيا**، وقلعة برج **الحشيش**، وقلعة **العريش**، وقلعة **خان يونس**.

الطبيعة النباتية لطريق القافلة:

وقد استغل **ليدونج سلافتور** كونه عالمًا بالنباتات فى القيـام باكتشـاف الطبيعة النباتية للمنطقة على طول الطريق. ومن خلال ما سرده **ليدونج** يمكن أن نقسمه إلى قسمين الأول: فى الظهير المصرى فقد ذكر وجود الكثيـر مـن

النباتات مثل النباتات الصحراوية، والنباتات الشوكية التى تدعى Salsolae echinas، وكذلك أعواد الصبر إضافة إلى نباتات الكوكلاس، والرجلة، والأفسنتين " الشيح "، والرتم، والبروق، وأرتيميسا مونوسبرما، والطرفاء، السمار. وكذلك بعض النباتات الزهرية من نوع portulaca، وأزهار سيدم، وكعب الثلج، وأزهار السوسن، والنرجس. علاوة على بعض الشجيرات والأشجار مثل أشجار الأمير " مجيرنتى "، وشجر الرمان، وعشب سباد.

وعلى نفس الظهير المصرى سرد **ليدونج** العديد من مجموعات النخيل والتى تميزت بضخامة أعدادها، والتى إن دلت على شئ فإنها تدل على الأهمية الاقتصادية لذلك الظهير، فقد كان نشاط هؤلاء قائمًا فى غالبيته على تلك المجموعات بما تنتجه من تمور من مختلف الأنواع، وتفصيل تلك المجموعات كالآتى: مجموعة تعرف بإسم **زايجه** وهى فى الطريق من القناة إلى **بئر النص**. ومجموعة نخيل **الخوجه** " القوقعة " فى نفس الطريق السابق. ومجموعة نخيل **الغريبات** فى الطريق من **بئر النص** إلى **قطيا**. ومجموعة نخيل **بئر النص** وهى صغيرة. ومجموعة نخيل **التحتى**. ومجموعات نخيل **قطيا** الأربعة ومجملها ألف وخمسمائة نخلة، ومجموعة نخيل **أبو شيه** بعد ملاحة **البردويل**. وثلاث مجموعات للنخيل فى يسار الوادى المقارب **لعتميل بن جبر**. ومجموعة نخيل **العريش**. ومجموعات نخيل **الشيخ زويد** الثلاث.

ولم يختلف الظهير الشامى فى طبيعته النباتية عن نظيره المصرى فقد ذكر **ليدونج** وجود العديد من أشجار الفاكهة كالمشمش، والتين، والجميز، وبعض الأشجار الأخرى كاللوز، والخروب، والسدر، والطرفاء، والتين

الشوكى، والزيتون. إضافة إلى النباتات الشوكية كالصبار، وأزهار النـرجس، والبصل البرى إلى جانب نخيل مدينة دير البلح.

الطبيعة الجبلية لطريق القافلة:

ولأن عين **ليدونج سلافتور** كانت دقيقة وفاحصة فإنه لم يغفـل عـن وصف الطبيعة الجبلية للمنطقة على طول الطريق المذكور، وقد ذكر العديد من الجبال والتلال: منها جبال **أبو قصب**، وتلال **بئر النص**، وسلسلة جبال **المغارة**، وجبال **الحلال**. ولم يكتف بوصفها أو ذكرها بل أنه أحيانًا كان يعنـى بدراسـة الأرض، ونوعية التلال الرملية ولاسيما الموجودة بمنطقة لزجه **بالشيخ زويد**. علاوة على ذلك كان يجمع بعض العينات الحشرية مثل الخنـافس الأرضـية، والجعارين، وخنافس asida، والصدف والمحار.

الطبيعة الحيوانية لطريق القافلة:

وحتى يكتمل الضلع الثالث لما سبق، ذكر **ليدونج سـلافتور** الكائنـات الحية التى تسكن تلك المناطق وحدد أنواعًـا بعينهـا وذلـك نظـرًا للطبيعـة الصحراوية للمنطقة بما تتميز به من طبيعة جافة وحرارة مرتفعة، فقـد ذكـر وجود أنواعٍ من الطيور مثل طيور الوقواق، والأبلـق، واللقلـق، والسـلوى، والطيور الجارحة مثل الشريك، والحدأة، والعوسـق، والغربـان، والصـقور، وطيور calander larks إلى جانب كلاب السـلوكى التـى ذكرهـا ونسـب إحضارها **للأرض المقدسة** إلى **ريتشارد قلب الأسد** حيث كانت تسـتخدم فـى صيد الغزلان.

الوضع الاقتصادى على طول طريق القافلة:

ومن حين لآخر وعلى طول الرحلة كان **ليدونج سلافتور** يحاول إبراز الأهمية الإقتصادية الممتدة على طول الطريق؛ فقد بدأ ليدونج ذلك بوصـف **قناة**

السويس وعملية نقل الدواب بها، وكذلك السفن العملاقة التى تمـر بهـا. ثـم تحدث عن القوافل التجارية الماره عبر ذلك الطريق، فيذكر أنه فى الطريق من **القناة إلى بئر النص** شاهد قافلة قادمة من **الرملة لمصر**، وأخرى دمشقية فـى طريقها **للقاهرة** وشاهدها بالقرب من **بئر قطيا**، وثالثة عند **بئر العفن**. عـلاوة على ذلك ذكر ولمرة واحدة الرسوم الضريبية التى تتقاضاها الحكومة من البدو مقابل نخيل **قطيا** الذى يبلغ ألف وخمسمائة نخلة وجملتها ألف وستمائة قرش فى العام. وهذا الرقم فى طياته يوضح مدى العائد المادى الذى يعود على أولئـك البدو.

مصادر المياه والنشاط القائم عليها:

ويبدو أن وجود بعض الآبار كان ظاهرة ملفتة **لليدونج** كـى يتحـدث عنها فى رحلته؛ وذلك لندرة المياه فى تلك المناطق الصحراوية. وتلك الآبـار تفاوتت ماؤها مابين العذوبة والملوحة والفساد، ويذكر من أسماء هذه الآبـار: **بئر النص** وآخر قبله ماؤهما مالحة، وبئر **العفن** فى الطريق إلى **بئـر العبـد** وماؤه فاسدة، و**بئر المبروكة**، وبئر **المغارة**، وآبار **العريش** السبعة التى كانـت تستخدم فى رى النخيل بها، وثلاثون بئرًا آخرين بوادى **العريش** لرى الفاكهة، وبئر **خان يونس**.

كذلك رصد **ليدونج سلافتور** العديد من الملّاحات، وهى عبـارة عـن أماكن لتجميع مياه الأمطار أو البحار لاستخراج الملح وجمعه منها بعد جفـاف المياه وتبخرها فى فصل الصيف. وقد حاول ليدونج العثور على قدر من المياه العذبة بها وذلك بالحفر فى أرضها كما حدث فى ملّاحة **المستبق** " **المسـتبك** " ولكنه ورفقائه فشلوا فى ذلك ولهذا اكتفوا بترطيب أقدامهم بالرمـال الرطبـة.

ومن أمثلة تلك الملّاحات؛ ملّاحة قبل **قطيا**، وأخرى عند جــرف **بئــر العبــد**، وملّاحة **بئر العبد**، وملّاحة الحكومة عند **الباصول**، وملّاحة **المستبق** " **المســتبك** "، وملّاحة **ابردويل**، وملّاحة **غريف الجمل**، وملّاحة **البحر الكبير**، وملّاحة **خطى آدم أبو زيد**، وملّاحة قبل **الشيخ زويد**، وأخيرًا ملّاحة **دير البلح**. وبذلك يظهــر سلافتور جانبًا من جوانب النشاط التى تقوم عليه حياة أولئــك الســكان الــذين يقطنون المناطق الواقعة على طول الطريق بين **مصر** و**بلاد الشام**.

القبائل العربية على طريق القوافل:

كان طبيعى أن يحظى سكان المناطق على طــول الطريــق باهتمــام **ليدونج سلافتور** ولاسيما السكان من البدو ولكن خلال الرحلة لم يشر **ليــدونج** صراحة إلا لقله قليلة من القبائل كقبائل **الترابين**، وقبائل تدعى **السواركة** لكنــه فى العموم لايذكر أسماءهم فيقول فى بعض الأحيان " كان يوجد العديــد مــن البدو ". ولم يكتف هذا السير بذلك فقط بل أنه أشار إلى الكثير مــن الأنشــطة الاقتصادية والحرفية التى يقومون بها فيذكر أنهم يشــتغلون برعــى قطعــان الماعز. كذلك قيامهم بعملية تخزين التمور، وكذلك دورهم فــى إنتــاج الملــح الممتاز فى الملّاحات، وأيضًا مشاركتهم فى خفارة بعض المحطات والمراكــز البريدية مثل محطة بريد **قطيا**، وبريد **بئر العبد**. كما أشار **ليدونج** إلى جزءٍ من العلاقات التجارية التى كان يقيمها أولئك البدو مع المناطق المجاورة مثل بــدو **الزوارقة** الذين يقطنون الشيخ **زويد** ويجلبون الزيوت من **غزة**. وبنفس الحجــم من العرض عرض **ليدونج** لبعض الأحداث السياسية التى عايشها أولئك البــدو كالمعارك التى دارت بين بدو **الترابين** و**الزوارقه** وبالمثل غارات بدو **الترابين** على **خان يونس** ونهبها.

المقابر والقرافات:

خلال تلك الرحلة قدم **ليدونج سلافتور** خريطة جغرافية توزيعيه لأماكن وجود المقابر والقرافات حيث كان يتعرف عليها من وجود بعض القباب أو عن طريق وجود بقايا الشقاف والأحجار أو وجود سعف النخيل ونباتات النبد والصبر. وكانت غالبية تلك المقابر خاصة ببعض المشايخ والأئمة، اللهم إلا فى بعض المناطق الخاصة بدفن العامة؛ كتلك الموجودة **بالعريش**، والشيخ **زويد**، و**خان يونس**. ومن خلال وصف ليدونج سلافتور لتلك المقابر فإن غالبيتها خاصه بمشايخ الصوفية ودليل ذلك أن المقابر كانت مغطاه بالقماش الأخضر اللون الذى يعد من ألوانهم المميزة. ومن أبرز تلك المقابر والقباب التى مر بها ليدونج؛ قبر **الشيخ المزين** جنوب محطة بريد **قطيا**، وقبر الجندى **إبراهيم باشا** عند ملّاحة **المستبق** " **المستبك** "، وقبر **الشيخ سليمان** عند **بئر المغارة**، وقبر **بيراكتار** حامل اللواء، ويوجد عند يسار باب قلعة **العريش**، ومقبرة **محمد الدمياط**، وقبر الشيخ **غبارة** " **جبارة** "، وقبر النبى **جاسر** " **ياسر** "، وقبر **الشيخ زويد**، وقبر **الشيخ محمد** **ببنو سهيلة**، وأخيرًا قبر **المنطار** على تل **المنطار**.

غرائب رحلة القافلة:

لم تكن تلك الظواهر والأشياء بغريبة عن رحلة **ليدونج سلافتور** فقد فى رحلته: العديد منها ففى اللحظات الأولى من عمر الرحلة ذكر ظهور بعض الأشكال الضخمة والأشباح المرعبة للمسافرين فى الظلام الدامس. ولم يكتف بذكرها فقط بل وضع تفسيرًا لذلك، تمثل فى عدم خبرة أولئك المسافرون فى التعامل مع ذلك الوضع. كذلك كانت ظاهرة السراب من ضمن الظواهر التى حدثت لأفراد القوافل حيث كان يتراءى لهم بحر كبير تتلاطم أمواجه من بعيد كما حدث لهم عند منطقة **الباصول**.

لم يغفل ليدونج سلافتور أيضًا عن سرد حكايات من التاريخ الاسطورى والتراث الشعبى لسكان بعض المناطق من ذلك ذكره للحكاية الشعبية المحفورة فى وجدان الأهالى بمنطقة ملّاحة **البردويل**، وهى حكاية **أبو زيد الهلالى** وذبحه **للبردويل** حاكم **العريش**، ولكن يؤخذ عليه عدم كتابته لأسماء أشخاص تلك الحكاية بشكل صحيح، ففى معرض حديثه عنها ذكر أنها حكاية **أدم أبو زيت**، وربما كان ذلك راجعًا إلى اختلاف لسانه عن اللسان العربى، وربما كان نطقه لهذا الأسم بهذا الشكل إلى استثقال المنطوق الشعبى لنطق حرف الدال فيحولها إلى حرف التاء. ومن الموروث الفلكلورى أيضًا ذكر **ليدونج** أن بعضًا من أهالى **العريش** كانوا يعلقون جماجم الجِمال على الأبواب لحمايتهم من الأرواح الشريرة وهذا الأمر يوضح أن تلك الأشياء كانت ضاربة فى عمق التاريخ.

وعلى الرغم من الوصف الرائع الذى قدمه **ليدونج سلافتور** خلال رحلته إلا أنه يوخذ عليه بعض المآخذ والتى يمكن الرد عليها ومنها:

* أنه خلال وصفه لمنبر مسجد قلعة **العريش** ذكر وجود شخص قائمًا على خدمة المسجد يدعى كاهن، وهذا يدل دلالة كبيرة على جهله وعدم درايته بالمسميات الإسلامية للأفراد القائمين على خدمة المساجد فهو يقصد الشيخ ولكن نتيجة لجهله قام بعمل مقاربة بما يتم فى الكنائس.

* وفى وصفه لمنطقة **العريش** ورغم أن تلك المنطقة يقطنها البدو إلا أنه أطلق على الأخيرين لفظ المحتلين وكأنهم أغراب عن تلك المنطقة.

* يؤخذ عليه أيضًا خطئه فى تحديد المعارك؛ ففى خضم وصفه للمنطقة بين **العريش** و**الشيخ زويد** تناول بدو **الترابين** و**الزوارقه** تحوى روايته خطأ كبير حيث يذكر أنه كانت بين القبيلتين السابقتين معركة كبيرة قبل خمسة عشر عامًا و**ليدونج** زار المنطقة عام 1878م وبذلك تكون المعركة فى عام

1863م وبالبحث فى تاريخ المعارك بين تلك القبائل لم نجد أية معارك فى ذلك العام، والمعارك التى وجدناها هى يوم **الحناجرة** 1848م، ويوم **القرارة الثانى** 1855م، وواقعة **المكس** 1856م.

* أخيرًا يؤخذ عليه خطئه فى اسم بعض القبائل مثل **السواركه** حيـــث يذكرهم داخل متن رحلته **بالزوارقه**. ويمكن أن نغتفر له ذلك الخطأ لاخـــتلاف لسانه عن اللسان العربى كما ذكرنا من قبل.

ـــــ الترجمة العربية ـــــ

ـــــ مقدمة المؤلف ـــــ

منذ أن سلكت طريقي إلي مصر لقضاء فصل الشتاء هناك. كعادة أي أوروبي قام قديمًا برحلة طويلة لتلك الأرض الجديدة؛ فقد اهتديت إلي تذكر الإنجازات الهندسية العظيمة وغيرها من تلك التي حققتها طيلة عمري، وكذلك إمعان النظر في المشاريع المستقبلية للتنمية حيث تبدو المدينة مجال واسع لذلك.

وفي السابق ترامى إلي مسامعنا إتفاق ضخم بخصوص تحسين الاتصالات بين **مصر** وجنوب **بلاد الشام**. وكانت هناك اقتراحات بشأن إنشاء ميناء جديد في يافا ([1])، وكذلك سكة حديدية عبر وادي الأردن ([2])،

([1]) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا في الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب ست وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة 583هـ ثم استولى عليها الأفرنج في سنة 587 ثمّ استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة 593 وخرّبها، وهذه المدينة ذات أهمية إقتصادية كبيرة فقد كانت من أهم منافذ الإتصال بالغرب اللاتيني حيث كان ميناؤها يستقبل الكثير من السفن التي تحمل التجار والحجاج ولاسيما إلي بيت المقدس فقد كان ذلك الميناء حتي عام 496- 497هـ / 1102 – 1103م يسع لما يقرب من ثلاثين سفينة كبيرة، ثم ارتفع ذلك العدد إلي ستين سفينة عام 504هـ / 1110م، وفي حوالي عام 1948 وماقبلها قامت إسرائيل بضم يافا وحيفا معًا وعرفتا بإسم تل أبيب. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج5، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ / 1995م، ص 426؛ البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ / 1992م، ص 1471؛ Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem And The Holy Land (1102, 1103.A.D) , Trans by , Brownlow, canon , in , P.P.T.S., vol.IV , London , 1892 , p.p.5 , 6 ; Albert Of Aachen , History Of The Journey To Jerusalem , (ed. And Trans). by , Edgington , Susan.B , first published , Oxford university press , NewYork ,2007, p.p. 499: 503. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، " صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، ج1،

بالإضافة إلي ميناء آخر في **بيروت** ([3]). لذا أعملت عقلي ومخيلتي في ذلك، وخلال جولاتي المتكررة في منطقة **الأزبكية** ([4]) الجميلة؛ كانت أفكاري

ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1391هـ / 1971م، ص262، 263؛ حاتم عبد الرحمن الطحاوي: الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط1، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ، 1420هـ / 1999م، ص130؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط1، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، 1402هـ / 1982م، ص 283.

([2]) وادي الأردن: سهل خصيب تبلغ مساحته حوالي 400 كم2، ويتراوح مستواه بين 200 وأكثر من 400م تحت سطح البحر، وهو أكثر جهات العالم انخفاضًا تحت مستوى سطح البحر، وهو إمتداد للانخفاض القاري يقع على إمتداد نهر الاردن داخل أراضي الاردن من ناحية وفلسطين واسرائيل من ناحية أخرى، ويوجد فيه البحر الميت. احتل العبرانيون وادي الأردن، ثم اجتاحه الآشوريون والكلدانيون، وحكمه الفرس في زمان قورش، وخضع للإسكندر المقدوني سنة 332 ق. م، واستولت رومانيا على المنطقة سنة 106 م، وبقيت بحوزتهم إلى أن طردهم المسلمون بعد أن هزموهم شر هزيمة في معركة اليرموك التاريخية سنة 14 هـ/636 م، وأصبح الأردن تحت الحكم الإسلامي وخلال الفترة 509 - 583 هـ/1115 - 1187 م كان الأردن تحت سيطرة الصليبيين، إلى أن حررها صلاح الدين الأيوبي سنة 583 هـ/1187 م بعد معركة حطين المشهورة. وخلال الفترة ق 10 - 13 هـ/16 - 19 م كانت الأردن تحت الحكم العثماني. أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ/1996 - 1997 م، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ / 1996، ص 447.

([3]) بيروت: مدينة على ساحل بحر الشام تعدّ من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ، وطولها ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي ميناء قديم من إنشاء الفنيقيين سماها الرومان Berytus وجددت عمارتها علي عهد أوغسطس في ق1، وكانت معسكرًا مهمًا للرومان، ومن مراكز الثقافة الهيلانية في الشرق الأدني وتدهور حالها في فترة الحروب الصليبية فلم تزل بيروت في أيدي المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها بلدوين الأفرنجي الذي ملك القدس في جمعه وحاصرها حتى فتحها عنوة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة 503، وهي في أيديهم إلى هذه الغاية، وكان صلاح الدين قد استنقذها منهم في سنة 583 هـ، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية، ولم تبد أهميتها إلا في القرن التاسع عشر. للمزيد انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج1، ص 525؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ / 1991م، ص24؛ بينامين بن بونة: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ / 2002م، ص 235، هـ 1.

واعتقاداتي مشغولة جزئيًا بالطريق البري بين جنوب **بلاد الشام** و**مصر** منذ أن سار اليهود بتلك الصحراء، وكذلك رحلة **المسيح** الطفل (5) وغيرها من الأحداث الرائعة التي شهدتها تلك البلاد حيث تعود تلك الذكريات المختلفة إلي الأذهان بمجرد سماع تلك الأسماء !

والرحلات سالفة الذكر جعلتنى معتادًا علي كل من **مصر** و**بلاد الشام**، وبالمثل طرق المواصلات المختلفة بينهم فيما عدا طريق القوافل القديم عبر **وادي العريش** (6). وتذكرت أيضًا الموانئ الردئية والمراسي الخطيرة

---

(4) الأزبكية:سميت بذلك نسبة إلي الأمير أزبك بن طخخ الظاهري كبير أمراء السلطان قايتباي، والتي نشأت علي يده فكانت عمارته في عام 880 هـ / 1257م، كانت تلك المنطقة خراب ولكنها في السابق كانت عامرة وتعرف باسم منظر اللوق، وفي ذلك العام جال بخاطر الامير السابق أن يقيم بها مناخًا لجماله حيث كان ساكنًا بالقرب فلما أقامه عمرت هناك العمارة من القاعات والدور والبيوت، ثم أحضر الأبقار والمحاريث وقام بحفر البركة الموجودة الآن. وعند البركة قامت الناس ببناء الدور والقصور الفاخرة والأماكن الجليلة وأخذت تزداد عمارتها حتي عام 891هـ / 1268 م وقد أرادت الناس أن تسكنها وصارت مدينة علي انفرادها وبني بها مسجد كبير وحوله بنيت الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والافران والقصور. ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفي، سلسلة النشريات الاسلامية، جمعية المستشرقين الالمانية، مطبعة الدولة، استانبول، 1354هـ / 1936م، ص112: 114؛ حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، محاضرة ألقيت بالمجمع العلمي المصري في جلسة 14 أبريل 1955 م، Bulletin de l'Institue d'Egypte , vol. 37 , le caire , 1955.

(5) شهدت الجهات الجنوبية من شبه جزيرة سيناء خروج اليهود ونزول الرسالة علي موسي عليه السلام. كذلك عبرت مريم العذراء شبه تلك الجزيرة حاملة طفلها المسيح عليه السلام عائدة من أرض فلسطين إلي مصر ثم من مصر عائدة به إلي فلسطين، وفيما بعد أصبحت سيناء قبلة المسيحيين جميعًا يهرعون إليها للتبرك بالأماكن المقدسة التي ارتبطت بمرور المسيح وأمه مريم العذراء. أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة،1398هـ/ 1977م، ص 11.

(6) العريش: سمّي العريش لأن إخوة يوسف، عليه السّلام، لما أقحط الشام ساروا إلى مصر يمتارون وكان ليوسف حرّاس على أطراف البلاد من جميع نواحيها فمسكوا بالعريش وكتب صاحب الحرس إلى يوسف يقول له: إن أولاد يعقوب الكنعاني قد وردوا يريدون البلد

لجنوب **بلاد الشام**. ولذلك أمعنت النظر في إمكانية إجراء إتصال حديدي " سكة حديدية " حول الساحل، وفي سبيل عرض هذا الشئ؛ قمت شخصيًا بتحليل ذلك لاختبار هذا الأساس.

وهناك العديد من العقبات التي واجهتني في سبيل إنجاز هذا الهدف: أولها ينبع من الظروف حيث أنه منذ افتتاح **قناة السويس** (7)؛ فإن الشطر الأكبر من التجارة بين **مصر** و**بلاد الشام** نقل عبر الطريق البحري القصير؛ طريق **يافا** و**بورسعيد** (8) وترتب علي ذلك أن اندثر واختفي الطريق

للقحط الذي أصابهم، فإلى أن أذن لهم عملوا لهم عريشًا يستظلون تحته من الشمس فسمي الموضع العريش، فكتب يوسف إلى عامله يأذن لهم في الدخول إلى مصر. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج4، ص 113، 114.

(7) قناة السويس: أو فيما عرف بإسم ترعة السويس وهي تحد سيناء الشمالية من الغرب، وهي الترعة التي تصل البحر الأحمر رأسًا بالبحر المتوسط، وتمتد من مدينة السويس فتخترق البحيرة المرة فبحيرة التمساح فبحيرة البلّاح، ثم تحاذي بحيرة المنزلة من الشرق إلي أن تصل إلي البحر المتوسط عند بورسعيد وطول هذه الترعة 160 كيلومتر، وعرضها مائة متر، وعمقها تسعة أمتار وخمسون سنتيمترًا، وأكبر البواخر التي يُسمح لها بالملاحة فيها الآن لاتتطلب من العمق أكثر من ثمانية أمتار و53سنتيمتر وقد بلغت نفقات حفرها وتوسيعها 24 مليون جنيه. وقد افتتحت القناة في 12 شعبان 1286هـ / 17 نوفمبر 1869م في احتفال مهيب حضره ملوك أوروبا ونواب جميع الدول. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلي اليوم، تقديم: محمد إبراهيم أبو سليم، ط6، دار الجيل، بيروت، 1411هـ / 1991م، ص 11، 12.

(8) بورسعيد: هي مركز محافظة القنال أنشئت عام 1859م في الموضع الذي اختاره ديليسبس حين بدأ في حفر قناة السويس. وفي سنة 1861م أصبحت قرية عدد سكانها ألفا نسمة، ثم عمرت بالسكان وذلك لوجودها عند مدخل القناة حتي بلغ عدد السكان عند افتتاح القناة 1869م عشرة آلاف فرد. وبلغوا في عام 1881م سبعة عشر ألفًا. وحينما وصلت إليها المياه العذبة من ترعة الاسماعيلية عام 1895م أصبحت تنافس الأسكندرية وقد أصبحت الممر الرئيسي لتجارة العالم بين الشرق والغرب. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة 1945م، ج1، ق2، البلاد

الرئيسي القديم الذي كانت ترتاده في السابق كلُ من القوافل، والرحّاله، والحجاج. حتي أن تجار الماشية أصبحوا الأن يفضلون إرسال مواشيهم عن طريق البواخر من ميناء التصدير الضخم في **يافا** إلي **الأسكندرية** ([9])، لذلك فإن قليلًا من الجماله يتقابلون مرة في هذا الطريق المفضل.

بناءً علي ماسبق وجدت من المناسب أن أطلب قافلة ([10]) من الخيول والبغال كي تقابلني في **القنطرة** ([11])، والتي كانت نقطة الانطلاق للصحراء.

الحالية ، المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414هـ / 1994 م، ص 6 .

([9]) الأسكندرية: إحتل الاسكندر المقدوني البلاد المصرية عام 332 ق.م، وأسس مدينة الأسكندرية وظلت حتي عام 614م عاصمة للقطر المصري وهي الفترة التي كانت فيها مصر تحت الحكم اليوناني والروماني. ولكن حينما إحتل عمرو بن العاص الأسكندرية نقل العاصمة إلي القاهرة فقلت أهميتها، وخاصة لانتقال حركتها التجارية إلي ميناء رشيد، وفي بداية ق19 الميلادي كان سكانها لايتجاوزون سته آلاف فرد. وقد عادت الحياة مرة أخري إلي الأسكندرية بقيام محمد علي بحفر ترعة الأسكندرية وسماها ترعة المحمودية عام 1817 م، علاوة علي إنشاء الأرصفة الجديدة وميناء الصناعة، وأقام فيها قصر التين، ولهذا توافدت عليها الجاليات الأجنبية وانتعشت حتي زاد سكانها إلي عشرين ألف فرد في عام 1882م. محمد رمزي:المرجع نفسه، ص 5.

([10]) قافلة: أما القافلة في الاصطلاح فتعني القيروان بضم الراء وتعني الجيش، وجماعة الخيل، ومعظم القافلة. فيقال في حديث مجاهد " يغدو الشيطان بقيروانه إلي السوق "، وهي كلمة معربة عن كلمة كاروان الفارسية، والكلمة في الأصل معربة عن الكلمة الآرامية .وقد انتقلت كلمة قافلة إلي كافة اللغات الأخري وجميعها تتشابه من حيث المنطوق اللفظي ففي التركية والكردية كاريان، والفرنسية Caravane، والإيطالية Caravana، والإنجليزية Caravan، والألمانية Karavane ، وفي الأرمنية . . . . ابن منظور: لسان العرب، ج5، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ / 1994م , ص 125، ج15، ص176، 177؛ الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ / 2002م، ص41؛ الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري وآخرون، ج8، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1420 هـ / 1999م، ص 5450، 5586؛ الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية،

والصفحات التالية تحوي بين دفتيها قصة رحلتي التي بدأت في مارس 1878م، وفي خيمتي كل مساء كنت أدون ما أمر به. كذلك فإن بحثي أقنعي بأن الخط الحديدي هو حلم متعذر وغير عملي علي الإطلاق وذلك إذا ما نظرنا بعين الاعتبار للرمال المتحركة لتلك الصحراء. لذلك فإن هذا الخط سوف يدفن ويتواري تحت هذه الرمال مع كل عاصفة مهما كانت درجة قوتها، ولكن يمكن له أن يبقي واضحًا وذلك عن طريق العمل الثابت وبذل النفقات.

كل تلك الاقتراحات لبلوغ هذا الهدف والذي بدا لي بتأسيس ميناء البضائع في **بيروت**، والذي ربما تنقل إليه كل بضائع **بلاد الشام** من خلال طريقين للسكك الحديدية: أولها: يمتد علي طول الطريق الخصب لشمال **بلاد الشام**، والآخر يمر عبر **وادي الأردن**. وفي هذا الصدد تقدم **بيروت** بالمقارنة مع **يافا** فوائد جمة، وذلك لأن أعمال مينائها ستكون أسهل وبالتالي ستكون أقل تكلفة. والمدينة نفسها بجانب كونها ثرية إلى حد ما؛ فإنها تملك وسائل مواصلات وتجارة برية مع **دمشق** ([12]).

بيروت، 1420هـ / 1999م، ص 252؛ " Crossing The Desert Caravan " , in , penny magazine of the society for the diffusion of useful knowledge , vol. 394 , London , may.1838 , p.197.؛ السيد أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، دار العرب، القاهرة،1409هـ / 1988م، ص131.

([11]) القنطرة: بلدة صغيرة في طريق العريش علي شاطئ الترعة الشرقي علي نحو 33 كيلو متر من الاسماعيلية، و45 كيلومتر من بورسعيد. بني هذه البلده تجار ومتسببون من غزة والعريش والصالحية وغيرها من مدن الوجه البحري فبنوا فيها أولًا أكواخًا خشبية وأقاموا فيها يبيعون المأكولات والملبوسات والحبوب علي عمَّال الترعة والبدو وعابري السبيل. ثم بنوا المنازل بالطوب النئ وسكنوها إلي اليوم. وعدد سكانها عام (1914 م) 750 نفسًا وقد كانوا 408 نفسًا في عام 1907 م. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص192، 193.

([12]) دمشق: هي أكبر مدن سورية وفلسطين وموقعها في أواسط سورية حيث الطول الشرقي 30 – 36، والعرض الشمالي 20 – 33، وهي إلى الشرق بانحراف إلى الجنوب

وإنجاز هذا العمل يعد علي قدرٍ من الأهمية بالنسبة لي وذلك في سبيل عرض التطور الاجتماعي والتجاري لبلاد الشام، حيث أنه لايمكنني القيام بذلك دون أن أعبر عن رغبتي وأمنيتي في إنجازه، والذي ربما يتم تحت رعاية تلك السلطات المهتمة بما أفعله.

زنديس، بالقرب من تريستي
أكتوبر 1879م

من مدينة بيروت، تبعد عنها 145 كيلومتراً، وتبعد عن جنوبي حمص 4 مراحل، وتعلو عن سطح البحر 2400 قدم، ومحيطها 9 أميال ونيف. وهي مدينة قديمة التاريخ، مضى على بنائها نحو 3145 سنة. وكانت تسمّى بإرم ذات العماد، إذ يقال أن الّذي كان بناها جبرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، ويقال أنها سميت باسم صاحبها الذي بناها وهو دمشق بن قاني بن مالك بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان. ولدمشق أربعة أبواب: الباب الغربي وهو باب الجابية، والباب الجنوبي ويسمى باب توما ويقال له اليوم باب المصادمة، والباب الشرقي وهو باب الغوطة، ومن الباب الشرقي دخل خالد بن الوليد ومنه فتح دمشق، والباب الشمالي هو باب الفراديس وهو باب كيسان. محمد علي: الرحلة الشامية (1910)، تحرير وتقديم: علي أحمد كنعان، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 1423هـ / 2002 م، ص 63؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1400هـ / 1980م، ص 237، 238؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2 ، ص 464.

1 – القنطرة.

بداية قامت إحدي قاطرات شركة **قناة السويس** بنقلنا في الحال من **السويس** ([13]) إلي **القنطرة** حيث كنا نستكمل متطلبات القافلة للانطلاق، وبمجرد أن وطئت أقدامنا رصيفها،لاحظنا عبور بعض الخيول عن طريق إحدي المعديات التي أقيمت علي طول جانبي القناة، فقد اعتاد القارب علي الذهاب أكثر من ثلاثة مرات حتي تسني له نقل كافة الحيوانات والأمتعة. علي الجانب الآخر لم يكن إعداد القافلة بالأمر الهين فنادرًا ما تسير الأمور بسلاسه في اليوم الأول من عمرها.

وانطلقت القافلة وفي مقدمتها جاءت البغال محمّلة بالخيام والأمتعة بينما نحن جئنا في مؤخرتها. وقد كان مشهد فندق **القنطرة** الصغير والمساحات الخضراء المحيطة به آخر عهد لنا بحياة المدينة، وبعد مركز البريد الذي يميز الطريق بين **مصر** و**بلاد الشام** دخلنا رحاب الصحراء متنسمين الحرية حيث الطبيعة الملهمة؛ فروعة الحياة في البحر يمكن مقارنتها بالرحلة عبر الصحراء، فالمسافر عبر هذا الطريق الرحب المنعزل يشعر بأنه مكتنف بنفسه وخيله مأسور بنماذج وأشكال غريبة لهذا الأفق البعيد، وكما أن الصحراء بالنسبة للبدوي تشكل وجدانه، كان البحر بالنسبة للربان بأسره، فلكل منهم جوهر ثابت وجاذبية لاتقاوم.

([13]) السويس: لما استمر انسحاب البحر الأحمر إلي الجنوب وانفصلت عنه البحيرات المرة أصبحت ميناء مصر عند النهاية الشمالية لخليج السويس هي مدينة كليسما التي سماها العرب مدينة القلزم، وفي القرن العاشر الميلادي نشأت قرية صغيرة جنوبي مدينة القلزم اسمها السويس وما لبثت أن شملت القلزم وأصبحت هي ميناء مصر علي البحر الأحمر. وفي سنة 1863م وصلت إليها المياه العذبة من ترعة الإسماعيلية فزاد عدد سكانها، وفي سنة 1869م فتحت قناة السويس فأصبحت مدينة السويس نقطة هامة للاتصال بين الشرق والغرب، وقد أنشئت محافظة السويس سنة 1225هـ الموافقة لسنة 1810م. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج 1، ق2، البلاد الحالية، ص7.

في هدوء....امتطي قائد القافلة الشيخ الكبير **أبو نبوت**؛ جواده منطلقًا في مقدمتها وعيناه تحملقان بثبات وإمعان علي طول تلــك الطبيعــة الرمليــة المنبسطة، وتدور في خلده بلاشك أحلام صباه ! ذلك في الوقت الــذي كانــت سنابك خيله تمخر عباب رمال الصحراء.

حان لركبنا إذًا أن يتوقف حيث أقمنا الخيام علي مسافة ســاعتين مــن **القنطرة**؛ فقد أمرت الخربندي ([14]) بأن يوقف البغال في ذلك الوادي الرملــي الصغير، والذي كنا قد أدركناه في غضون ساعة ونصف، ومن محصلة خبرتي أعلم تمام العلم بضرورة التشديد علي تنفيذ الأوامر الصــادرة وخاصــة عنــد الشروع فى القيام برحلة القافلة لذلك أمرت الخربندي مرة أخري بإعادة حــزم الخيام فما كان منه إلا أن شعر بالضيق. علي أية حال واصلنا المســير حتــي بلغنا طريقًا ضحلًا وهناك نصبنا الخيام من جديد.وكانت رحلة القافلة مريحــة بطريقة نسبية حيث زودت بخيمتين للنوم، وثالثة لتناول الطعام، إلــي جانــب أخري أعدت كمطبخ.

فكت كل الأشياء المحزومة من أمتعة، وعلف الحيوان، حتــي جــرار المياه. فقد اعتاد شيخ القافلة أن يخضع جرار الماء لعملية فحص دقيقة لاكتشاف ما بها من عيب وإصلاحه. عندئذ ساق العطش البغال والحمير إلي القنطرة كى يسكنوا ظمأهم. في حين سيقت الجمال إلي المراعي الموجودة في الجوار حيث

([14]) الخربندية: المكارون كلمة فارسية معربة مأخوذة من خَرْبَنْدَه ومعناها عبد الحمار، أو مربي الحمار. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:عبد العزيــز مطــر، راجعه: عبد الستار أحمد فراج، ج8، ط2، سلسلة التراث العربي، عدد 16، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1414هـ / 1994م، ص 56؛ الســيد أدي شــير: الألفــاظ الفارســية المعربة، ص52.

النباتات مثل الطرفاء ([15])، والنباتات الشوكية، والنباتات الزهرية، وبعض النباتات الصحراوية الاخري.

أُعدّت الخيام بشكل منظم وكنا قد شعرنا بالراحة بها. وقبل الغروب عادت حيوانات القافلة من **القنطرة** حيث عادت الخيل والبغال فتم تسريجهما من جديد وتثبيت تلك السروج بحبل طويل. عندئذ ألقي القمر بظلاله علي الرمال جاعلًا إياها تبدو في شكل بديع رائع. وخلال وقت الراحة كنا قد تمكنا من إحصاء عددهم في القافلة فبلغت عدتهم سبعة خيول، وخمسة بغال، وثلاثة من الحمير، أما عدة الجمال فبلغت سبعة جمال، وجميعها ساعدنا في التجول بحرية في الصحراء.

وفي ذلك الفضاء الرحب، وتلك الليلة الظلماء؛ تراءي للرحالة عديمي الخبرة بعض الأشكال الضخمة والأشباح المرعبة ! لذا سارع المكارية ([16])، والجمالة بإشعال نار ضخمة حولنا حيث نستقر. وكان برفقتنا أربعة من المكارية أحدهم يحمل اسمًا فارسيًا ويدعي **أحسن**، واثنين من الجمالة أحدهما يدعي **داؤد** والأخر **حسن**، وكلاهما من **العريش**. ومن آن لآخر كنا نسمع صوت شيخ القافلة **أبو نبوت** صادرًا من خيمة المطبخ، استمر ذلك لبعض الوقت، وبمجرد أن شعرنا بالآمان؛ غلبنا النعاس.

([15]) الطرفاء: الاثل وهو شجر عظيم لها أطراف مثل أطراف الأجمة، ويصنع منها الأقداح الصفر الجياد، ومنها صنع منبر الرسول صلي الله عليه وسلم. ابن منظور: لسان العرب، ج1 , ص 656 ؛ الفراهيدي: العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج8، دار الهلاك، القاهرة، د.ت، ص241؛ البخاري: صحيح البخاري المعروف بـ " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج2، ط1، دار طوق نجاة، 1422هـ / 2002م، ص9.

([16]) راجع الخربندي فيما سبق

2- إلي بئر النص وقطـــــيا.

في الصباح.. غادرت الجمال مخيم القافلة، وبحلول الساعة السابعة والنصف قمنا بإعداد الأمتعة وإعادة حزمها فوق الأسرجة مرة أخري. إضافة لذلك كانت آثار ومعالم إقامتنا بهذا المكان لاتزال عالقة بالرمال المتحركة، وأغلب الظن أنها كانت ستطوي في ثنايا تلك الطبيعة الرحبة حال مغادرتنا لهذا المكان.

وياله من يوم عظيم ! فهواء الصحراء المنعش الطبيعي قد جعلنا نشعر بالنشاط والشدة حيث سيرنا علي نسق واحد عبر تلك الطبيعة الرحبة المكسوة بنباتات الرجلة ([17])، والشجيرات " الأجمة ".وعلي ناحية اليمين، وربما في ناحية الجنوب الشرقي لاحت لنا إحدي المرتفعات القائمة حيث جبال **أبو قصب** " جبال أبو قصب السكر " [18]. ومن أكثر المواضع ارتفاعًا لهذا السطح المتموج تمكنا من رؤية باخرتين لحظة عبورهما القناة إحداهما كانت استرالية.

كان مشهد تلك السفن الهائلة ذات الصواري العملاقة وهي تتقدم تبدو وكأنها تسير في بحر من الرمال (حيث لم تعد القناة نفسها مرئية للعيان)، وهى من أكثر المشاهد الفريدة التي جعلتنا ندرك ونقدر من جديد قيمة الشخصية الرائعة للمتعهد الكبير السير ديليسبس ([19]).

([17]) الرجلة: نبات من الحمض، بارد، لين، ينفع في الصفراء، ويعرف أيضًا باسم البقلة الحمقاء وذلك لأنها لاتنبت إلا في مسيل، وتعرف أيضًا باسم الحوك، وكذلك باسم الفرفح وذلك لضعفها. الأزدي: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1408هـ / 1987م، ص464، 560، 565؛ الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ترجمة: أحمد عبد الغفور عطار، ج4، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ / 1987م، ص 1465، 1636، 1705؛ الحميري: شمس العلوم، ج4، ص 2419.

([18]) ربما سمى بذلك لانتشار زراعات قصب السكر بالمنطقة.

([19]) ديليسبس: المهندس الفرنسي الشهير والذي يعود إليه الفضل في فتح قناة السويس حيث نال الإذن بفتحها من سعيد باشا سنة 1856م في عهد إسماعيل باشا فألف شركة

لم يمض وقت طويل علي إختفاء أكبر صواري تلك السفن المارة، والتي تشبه الأشباح المتوارية خلف أمواج الرمال التي صادفناها. وبعد أن عبرنا رابية صغيرة علي اليمين طلبت القِربة " قِربة المياه "، بعدئذ وصلنا لمنطقة متموجة من الأرض تشرف علي مشهد للجبال ومجموعة من النخيل تعرف بـ " **زايجة** " الجميلة.

في نفس الوقت انسدل الستار علي ذلك المشهد، وبدأ يتلاشي بفعل إحدي الظواهر العامة في الصحراء؛ وهي ظاهرة السراب ([20])؛ فعلي اليمين بدا ذلك السراب كانعكاس لبحيرة ضخمة منتظمة الشكل بسطح مائي متمايل وأمواج متلاطمة. وعلي مقربة من ذلك لاحظنا وجود العديد من البدو وإلي

مساهمة، ودبر ما تحتاج إليه من المال وأنشأها رغم ما اعترضه من الموانع السياسية والإدارية القوية. وقد وعد المسيو ديليسبس عام 1883م أن يكون الحد الأدني لرسم المرور عبرها خمسة فرنكات. وكان قد نصب للمسيو ديليسبس تمثالًا كاملًا عند مدخل القنال في بورسعيد. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 12: 14.

([20]) ظاهرة السراب: هي ظاهرة أخبرنا بها القرآن منذ ثلاثة عشر قرنًا " يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا " (سورة النور آيه رقم 39). ولم تعرفها أوروبا إلا في القرن السابع عشر، بل لم تتحقق من أمرها إلا تلك الحملة العلمية التي دخلت مصر مع نابليون بونابرت في القرن التاسع عشر. ولا غرابة في ذلك فإن السراب لايوجد إلا في صحاري البلاد الحارة: ذلك أن الشمس إذا ارتفعت حرارتها سخنت الرمال علي سطح الأرض فتسخن به طبقة الهواء التي تلامسها، وهذه الطبقة تسخن التي فوقها، وهكذا وبذلك يتمدد الهواء في جميع الطبقات بنسبة حرارة كل واحدة منها، ويحدث من انتقال الطبقة الساخنة منه إلي أعلي ومن نزول الكتلة الباردة لتشغل محلها تموجات تنعكس في صفائها صور الأشباح القريبة منها، وهذه الصور تنعكس بمجموعها في منخفض من هذه الرمال المتبلورة فتراها من بعد كأنها حقيقة مجسمة. وكان أول من شرح تلك النظرية هو أمامومنج وهو من أعضاء الحملة العلمية السالفة الذكر. محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، ط2، مطبعة الجمالية، مصر، 1329هـ / 1911 م، ص319، 320.

جوارهم نساؤهم اللائي يعملن برعي الماعز ذات الشعر الأسود في المراعي الفقيرة.

وبعيد عن ذلك بقليل؛ أتينا إلي تجويف صغير كان عبارة عن نبع مائي ولكنه الآن قد جف. ثم صادفنا قافلة في طريقها من الرملة في **بلاد الشام** صوب **مصر** بغرض بيع بعض الخيول والبغال الهزيلة. بعد ذلك إنضم إلي رفقتنا اثنان من البدو بغرض البقشيش ([21]) المعتاد.

وضعٌ مملٌ... يلقي برتابته علي الطريق... نفتقر إلي اللهو أو لأي من مصادر التشويق لكن سرعان ما انطلقنا برفقة أحد الجمال الهزيلة التي تحمل البريد من **العريش**، وكنا قد علمنا من راكبه " والذي شعر بالسرور لمجرد مرافقته لهذه القافلة "؛ بأن البريد يرسل عبر هذا الطريق مرة كل أسبوع، وتستمر هذه العملية كوسيلة من وسائل الإتصال بين **العريش** والعالم الخارجي.

غمرت السعادة والفرح ذلك البريدي، وأثناء سيره مع ذلك الجمل واسع الخطي عبر الأرض الرملية، لاحظنا تقدم ذلك الجمل مسافة للأمام في حين لم تتمكن خيولنا من اللحاق به. وخلال الطريق جذبت الحشرات اهتمامنا ولهذا

([21]) بقشيش: عطية مجانية، واكرامية، هبه، رشوة. وفي عام 1896 م وما قبلها كانت تسمي باسم هدية، وذكر البعض أن الهدية كانت علي مستوي السلطان وسموها " السلطان هدية "، وكان الغرب لايفهمون المعني الكامل للهدية ويعتبرونها غير أخلاقية. وكانت هناك أيضًا " القيصر هدية " وهي أكثر انتشارًا في بلاد القياصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ / 2008م ، ص231؛ عبد الحميد الثاني: مذاكراتي السياسية، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ / 1986م، ص40.

جمعنا بعض العينات مثل الخنافس الأرضية Anthia ([22])، وخنافس asida [23]، وجعارين scarabaeus sacer ([24]) وهي نفسها الجعارين التاريخية الخاصة بالمصريين.

وبرشاقة صعدنا إحدي التلال، وعلي مسافة بعيدة، وعبر تلك الرمال المتعبة داعب أعيننا السرور حين شاهدنا منظر مجموعة نخيل **العوجة " القوقعة "** ([25]) التى تستقر عند سفح تلك التلال الرملية، وإليها كانت وجهتنا فلربما نتناول وجبة الغداء أسفل ظلها الرائع. وحينما دنونا كانت الواحة وفي خلفيتها جبال **أبو قصب** قد أظهرت مشهد الصحراء الساحر، وبمجرد وصولنا

---

(22) الخنافس الأرضية Anthia : هي خنافس كبيرة الحجم، سريعة الحركة، مدرعة ذات فك حاد وقوي، ويمكنها أن تطلق سمها لمسافة تصل إلي 30 سم وإذا لم يعالج في الحال يسبب العمي ولاسيما للدجاج والقطط. C. H. Scholtz & E. Holm , Insects of southern Africa , Butterworths, 1985 , p.195.

([23]) خنافس Asida: هى نوع من الخنافس، ومنها الطائرة والأرضية، وتتميز بوجود بقع على جسدها، علاوة على أنها تسكن فى حفر. stanislav Gorb , Attachement Devices Of Insect Cuticle , London , 2001 , p. 230.

(24) جعارين scarabaeus sacer: هي نوع من خنافس الروث؛ حيث تقوم بتجميع الروث لكرات وتدحرجه حتي أماكنها وهناك إما تأكله أو تضع فيه بيضها. وهي من أقدس وأشهر الخنافس لدي المصريين القدماء فقد كانت رمزًا للاله خبري Khepri إله البعث . George long , on the sacred animal of Egypt , the british museum , egyptain antiqities , vol.2 , London , 1836 , p.p. 286-319 ; Maurice burton and Robert burton , scarab beetle , vol. 16 , the international wild life encyclopedia , (3rd ed) , marshall , cavedish , 2002 , p.p.2252-2254 ; pat remler , egyptain mythology Atoz , (3rd ed) , infobase publishing , new york , p.p. 169 – 171.

([25]) العوجة: وادي العوجة المعروف بوادي الأعوج، وسمي بذلك لكثرة تعوجه، وهو من أشهر فروع وادي الأبيض والذي يخرج من جبل المقراه ويصب في وادي العريش علي بعد 6 أميال من شمالي المقتضبة، و18 ميلًا جنوبي العريش. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والجديد، ص 72.

إليها بحلول الساعة الحادية عشر والنصف نصبنا خيمة صغيرة، وتلطفنا بنسيم أوراق النخيل الطويل الرقيق، وشعرنا بالراحة. فيما بعد قمت برسم صورة لجزء من مجموعة ذلك النخيل (انظر الصورة)، بينما قام **فيفز** باصطياد زوج من طيور calander larks ([26]) ببندقيته، وكذلك هاجم خيمتنا ثعبان في الساعة الثانية. وقبل مواصلة الرحلة انطلقنا كي نلقي نظرة علي ذلك البئر الصغير؛ حيث كان مبطن بجذوع النخيل؛ لحمايته من الرمال، وكذلك كانت ماؤه مالحة كما هي العادة بالنسبة لينابيع الصحراء.

مرة أخري واصلنا السير عبر تلك الطبيعة الرملية، وعلي ناحية اليمين شاهدنا منظرًا لقمة جبال **أبو قصب**، وإلي مسافة أبعد وصلنا إلي سلاسل ممتدة من التلال الرملية ذات القمم الحادة والتي تبدو وكأنها قطعت بسكين، وهي لم تكن كذلك بل كان هذا بفعل حركة الرياح. وفي كل اتجاه رأينا أشياء مبعثرة لجيف وجثث الجمال وهياكلهم العظمية؛ ولهذا مرت خيولنا بهذه المنطقة في اشمئزاز تام. هنا...كانت الحياة منعدمة؛ فما قابلناه من المخلوقات التي مازالت موجودة في المنطقة يعدو أعدادًا قليلة من الغربان فقد حلق زوج منها فوق رؤوسنا ولكن لم تكن لدينا الرغبة في اصطيادهما.

وإلي اليمين، وعند سفح تلك التلال الرملية المنخفضة كانت هناك مجموعة أخري من النخيل والتي يُطلِقُ عليها أهل البلد اسم **الغريبات** ([27]) " **المرأة الغريبة** أو **الأجنبية** "، إلي جانب مخزن أقامه البدو لتخزيين التمور.

---

(26) طيور calander larks: هي طيور القبّرة وهي فصيلة من فصائل العصفوريات، وهي صغيرة ومتوسطة الحجم والوزن، وهي من الطيور المطربة، علاوة اللي أنها ترمز اللي السعادة وكذلك للانطلاق. Stevens, Anthony , Ariadens clue: Aguide to symbols of humankind , (1st ed) , united state , 2001 , p. 303.

([27]) الغريبات: هي دبّات الغرايبات وهي كثبان رملية عظيمة من الرمال بين قطية وبئر الدويدار تخترقها طريق العريش. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 26.

استمرت خيولنا الهزيلة في هذه المعاناة متناوبة بين الصعود والهبوط عبر سلاسل من التلال الرملية ذات القمم الحادة والتي بدت في وضوح جدير بالملاحظة في السماء بلونها الأزرق الداكن. هنا وهناك...شاهدنا الروابي حيث الأعشاب التي تنمو بين الرمال والمعروفة باسم "سباد" ([28]) والتي استخدمناها كعلف للجمال. تلك العزلة الموحشة ومنظرها المهيب كانت خلفية للصحراء بجانب مجموعة من شجر الرمان عند ناحية اليمن (انظر الصورة).

ورغبة في الشعور بالمتعة والبهجة وصلنا عند مجموعة نخيل **بئر النص** ([29]) إشارة إلي " **بئر طريق النصف** " حيث نباتات الطرفاء المزروعة بالقرب منها. ويستقر ذلك البئر أسفل مجموعة صغيرة من النخيل ناحية اليسار، ومياهه أيضًا كانت مالحة ولكن بقدر بسيط. وتستقر تلك الواحة علي مسافة ثلاثة أرباع المسافة من **القنطرة** إلي **قطيا** ([30])، وبالرغم من أنها كانت مكانًا مغريًا للراحة، إلا أننا قررنا المسير ومواصلة التقدم علي طول ذلك الطريق المميز بالبئر عبر الأراضي الرملية العميقة حتي أدركنا مجموعة صغيرة من نخيل **التحتي** " **السفلي** "، حيث منطقة **الغريف**، والتي ربما تري إلي ناحية اليمين أو ربما ناحية اليسار من منطقة أبو رمل. وشتان مابين تلك المجموعات الخضراء المفعمة بالروح والحيوية مع منظر الصحراء الموحش حولها.

([28]) سباد: هو أى بقايا من النبات. الزبيدي: تاج العروس، ج 8 ، ص170.

([29]) بئر النص: هو بئر يدعي بئر النصف ويوجد في منطقة نخيل في وسط سبخة قطيا. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص253.

([30]) قطيا: قرية في نواحي الجفار: في الطريق بين القنطرة والعريش في الجنوب الشرقي من محطة الرمانة وعلي بعد 10كم منها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص378؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1413هـ / 1992م، ص 71، هـ 1؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج1، ق 2، ص351.

ومن منطقة التحتي أخذت الأرض في الارتفاع حتي تمكنا من رؤية أعداد لاتحصي من نخيل مدينة **قطيا** فوق تلك التموجات الرملية ، وفوق ذلك فإن رفقتنا من البدو والذين أنهكتهم الرحلة المتعبة عبر الرمال، وألهبتهم أشعة الشمس الحارقة ؛ أسهبوا في الحديث معنا عن الفترة الحارة، وكذلك عن الظل المنعش والمياه الوفيرة التي في انتظارنا.

سرنا عبر الأرض المنبسطة والشجيرات الصغيرة إلي ما يعرف بالملّاحة أو السهل الملحي، وهناك...وعلي بعد مسافة تمكنا من رؤية وميض تجلي بين جذوع النخيل وقماش خيامنا الأبيض، وكنا قد وصلنا إليها للتو قبل حلول الظلام.

كانت خيولنا بحاجة لمزيد من الراحة بعد يوم من العمل الشاق، ولك أن تتخيل كيف كانت ألسنة اللهب المشتعل قريبة من الخيام، وكيف كانت شهيتنا عندما استمتعنا بوجبة المساء التي أعدت لنا، كذلك استرخينا علي السجاد الناعم المفرود. وحولنا ضربت قبائل البدو خيامهم، وكانت أغاني وأهازيج نسائهم تدوي بعيدًا في سكون هذة الليلة.

3- من قطيا إلي بئر العبد.

وفي قطيا المشمسة استيقظنا، حيث تلك الواحة الرائعة ذات النخيل الأكثر جمالًا وظلًا، وبينما كان يتم حزم الخيام استعدادًا للانطلاق المحتمل صوب **بئر العبد**؛ قمت سريعًا باستكشاف الجوار؛ ففي منتصف منطقة النخيل المحيطة **بقطيا** كما الحزام يوجد ارتفاع مغطي بشقاف القراميد، وتنمو بينها أعداد هائلة من نباتات سيدم ([31]) ويتميز بعضها بكثافة الأوراق. وبالقرب من إحدي أشجار الطرفاء وجدنا أطلالًا وبقايا لحصن صغير مهدم يطلق عليه العرب البرج " القلعة " وهو عبارة عن بناء من القراميد والحجارة المتراصة أفقيًا ورأسيًا إلي جانب احتوائه علي سلم حلزوني الشكل بداخله.

وليس ببعيد عن ذلك البناء وجدنا أيضًا قبة تحتوي علي مقبرة ونقش رخامي مكتوب بالعربية طمست معالمه، بالإضافة إلى زوج من الأعمدة القديمة يتدلي من إحداهما إكليل من الزهور، كذلك وجدنا سعف النخيل ملقي علي الأرض إشارة إلي مواقع الأضرحة المختلفة. وهناك عدد من المخازن المنتشرة والتي تم بناؤها من سعف النخيل بغية تخزين التمور الناضجة.

كان مشهد الحصن المخرب إلي جانب النخيل المحيط مشهد جدير بالملاحظة، فقد كانت هناك أربعة مجموعات رئيسية من النخيل ربما بلغ مجمل أشجارها ألف وخمسمائة شجرة، وفي مقابل ذلك كان البدو القاطنين لتلك المنطقة يدفعون للحكومة ألف وستمائة قرش في العام.

---

(31) سيدم: نوع من النباتات المزهرة من فصيلة Crassulaceae،-وهي نباتات تتميز بقدرتها علي تخزين المياه. Hideaki Ohba , The taxonomic status ofSedum telephium and its allied species (Crassulaceae) , shokubutsu- gaku zasshi , march 1977, vol.90 , issue. 1 , p.p.41:56.

وعند مجموعة النخيل الأولي وبالقرب من القبة يوجد محطة للبريد، أو منزل صغير للخفراء العرب، والذين تقع عليهم مسئولية حفظ وخفارة البريد والبرق. وإلي الجنوب من تلك المحطة توجد قبة أخري خلف تل صغير الحجم تعرف بقبة الشيخ المزين ([32]) (انظر الصورة)، وهي مزودة بسلم رخامي عتيق، وبسقف مستدير مزخرف، ومحاطه بأعداد ضخمة من أعواد الند (الصبر) ([33])، وهنا أيضًا وجدنا مكانًا للدفن مع القبور، وأمكننا الاستدلال عليها من وجود زوج من الاحجار، وقطعة من سعف النخيل وأوراقه، وربما دل علي ذلك أيضًا وجود قطعة من عظام الجمال.

ومن تلك القبة تمتد زراعة النخيل بإتجاه الجنوب مع نوع من الورود، ومع مجموعة **قطيا** التي كانت في مأمن عن طريق تل من الرمال البيضاء في الجانب الجنوبي الغربي. وفي طريق تجولنا قابلنا العديد من البدو؛ حيث ألقي اثنان منهم السلام علينا وحيونا بتحية حارة قائلين مرحبًا " أهلًا وسهلًا "، حيث كنا قد تبادلنا معهم بعض الحديث. وفي الوقت نفسه كان **فيفز** يصطاد أحد طيور الوقواق cuculus glandarius ([34]) الرائعة التي اعتادت الطيران

([32]) قبة الشيخ المزين: وهي من المناطق التي اكتشفها الأثري كليدا Cledat في حفاتر مدينة قطية، وقال أن الشيخ المزين هو أحد الأولياء. كما وجد شاهدي قبر في مبني فوق قبر الشيخ المزين عليهما كتابة كوفية حيث أرجعهم كليدا إلي ماقبل القرن السادس الهجري عندما كانت الكتابة السائدة علي الحجر الكتابة الكوفية. أما منذ القرن السادس الهجري وما بعده فأصبحت الكتابة السائدة هي الخط النسخي. أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص144.

([33]) الصبر: شجرة حارة ورقها كقرب السكاكين، طوال غلاظ، يخرج من وسطها ساق عليه نور أصفر، كريه الرائحة، وهو ينقي المعدة والرأس والمفاصل من البلغم، ويفتح سدد الكبد ويذهب اليرقان، ويسكن حكة العين، ويسكن الصداع. الفراهيدي: العين، ج7، ص115، 116؛ الحميري: شمس العلوم، ج6، ص3653.

([34]) الوقواق cuculus glandarius: جنس طير من فصيلة الوقواقيّات ورتبة المتسلّقات، متوسّط القدّ على قدر الحمامة، رماديّ الظّهر أبيض البطن، يألف الأحراج

بين هامات النخيل إلي جانب طيور الشريك (الـــدقنوش shrikes) ([35]) أو الطيور الجارحة، وبعض من طيور الأبلق ([36]) بلونيها الأبيض والأسود.

استرحنا لبرهةٍ تحت ظلال النخيل، ثم استكملنا رحلتنا وقت الظهيـــرة مارين بطريق **بئر قطيا** الذي كان من أبرز ملامح تلك الواحة الجميلة. حيـــث كان يتميز بضخامة حجمه، ومغطي بالقراميد ([37])، ومزود بقنـــاة أو خنـــدق لتوصيل المياه إلي أراضي الري المختلفة. وهناك وجدنا قافلـــة دمشـــقية فـــي طريقها إلي **القاهرة** وفي زمرتها أعداد من الخيل والبغـــال تـــولي مســـئوليتها العديد من المكارية. وكان كل من القطيع ومكاريه نحيلي الجسد ذوي الملامـــح

ويقتات بالحشرات، لا يحضن بيضه بل يضعه في عشّ طائر آخر، ويُعتبر من الطُّيور شبه القواطع. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 2486.

([35]) الدقنوش: فصيلة من رتبة العصفوريات تتألف من ثلاثـــة وثمـــانين نوعـــا، وهـــي متوسطة الحجم، وهي ذات ريش رمادي وبني أو أسود وأبيض، ومناقيرها معقوفة، وهذا ما يعكس طبيعتهم المفترسة، ومن أبرز عاداتها اصطياد الحشرات أو الفقريات الصـــغيرة. Yosef, Reuven, Family Laniidae (Shrikes) , In Josep, del Hoyo; Andrew, Elliott; David, Christie , Handbook of Birds of the world , Volume 13, Penduline-tits to Shrikes. Barcelona, Lynx Edicions , 2008 , pp. 732–773 ; Clancey, P.A. , Encyclopaedia of Animals: Birds, (ed) Forshaw, Joseph, London: Merehurst Press , 1991. p. 180.

([36]) الأبلق: طـــائر ينتمـــي إلـــي فصـــيلة صـــائدي الـــذباب. Hoyo, J. del, et al., Handbook of the Birds of the World, vol. 10. Barcelona: Lynx Edicions , 2005 , p. 786 ; Sangster, G., Alström, P., Forsmark, E., & Olsson, U. , Multi-locus phylogenetic analysis of Old World chats and flycatchers reveals extensive paraphyly at family, subfamily and genus level (Aves: Muscicapidae). Molecular Phylogenetics and Evolution , 2010 , p.p. 380–392.

([37]) القراميد:الآجُرّ، يسمّى بالرومية قَرْميدَى، وهي حجارة مصنوعة تنضج بالنار يبنى بها، أو يغطى بها وجه البناء، وهي أيضًا ما يُطْلى به للزِّينة كـــالجصّ ونحـــوه. الأزدي: جمهرة اللغة، ج3، 1324؛ الفارابي: الصحاح، ج2، ص524؛ أحمد مختار عبـــد الحميـــد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3، ص1804.

السمراء، وكانوا مع خلفية النخيل الضخم قد شكلوا صورة متناسقة ومميـزة وملفتة للأنظار، عززها عبق الصحراء والألوان المتنوعة التي ظهرت تحـت أشعة الشمس الواضحة في الصباح.

لم يعد لدينا مزيد من الوقت؛ لذا واصلنا المسير عبـر تلـك الطبيعـة الرملية، وسريعًا توارت مدنية **قطيا** الجميلة واختفت من ذلك المشهد كما لو أنها ضرب من ضروب الخيال.

هنا وهناك تنوعت قيم الوحدة والإتساق في مشهد الصـحراء ، ذلـك المشهد الذي أصبح مفعمًا بالحيوية عن طريق مجموعات صغيرة من النخيـل، وكنا قد استرحنا تحت واحدة منها وكانت هي محطتنا بعد مسيرة طويلة، حيث كان النسيم يداعب برقته هامات الأشجار التي تعلو فوق رؤسنا مصدرة حفيفًـا تناغم معنا، بينما كنا هائمين في ذلك الأفق الصافي الضارب في الصفرة فـي مقابل السماء بلونها الأرزق الداكن. كل ما حولنا خيم عليه الهدوء التام.

وبين الحين والآخر كانت جماعة من نساء البدو تمر في الطريق إلـي خيامنا حاملة قراب المياه، ومن المحتمل أنهن كن علي بعد ساعات منها. وبعد فترة وجيزة انطلقنا من جديد عبر الطريق الرملي. يتألف من مجموعة متنوعة من النخيل، واستمرينا المسير حتي أدركنا منحدر بسيط وصلنا من خلاله إلـي تل **بارسات مان** الرملي في منتصف الطريق إلي **بئـر العبـد**. ومـن هنـاك وبالتناوب أخذ الطريق في الصعود والهبوط فوق الأخاديد الرملية المكشوفة ثم مررنا بأحد المنحدرات المزروعة بالشجيرات وبالأعشاب، ومنـه إلـي **بئـر العفن**([38]) " **البئر الكريه** " الذي احتوي علي قليل من الميـاه ولكـن كانـت غالبيتها فاسدة.

([38]) بئر العفن: هو بئر أبو العُفين.يبعد مسافة ساعة وثلث من برصه معن. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص253.

شاهدنا علي مسافة قطعان عديدة من الماعز يرعاها أولئك البدو القاطنين لقطر كامل من المدينة وصولًا إلي البحر. وفي الطريق قابلنا قافلة يقودها بعض الأكراد تتألف من الخيل والبغال والحمير، وفي طريقها صوب **القاهرة** يتقدمها رجل متقدم في العمر يرتدي عمامة خضراء.وعلي بعد مسافة تمكنا من رؤية جبل **المغارة** (39) وهو عبارة عن جبل بارز ورخو ثم نزلنا في تجويف. وإلي ناحية اليمين منا، وبين الأخاديد الرملية حيث يستقر غريف بئر العبد توجد ملّاحة واسعة مغطاة بالشجيرات ونباتات الرجلة، وتحتوي علي قدر قليل من مياه الأمطار.

ويتمثل نشاط تلك المياه في إنتاج الملح الممتاز والذي يقوم البدو بجمعه بعد تبخر المياه عند بداية فصل الصيف، وشكلت الطبيعة الملساء الثابتة لأرضية الملّاحة مع شجيرات نباتات الرجلة ونباتات القوقال (40) المزهرة؛ تغيرًا ملموس لدي كلٍ من الرجال والدواب في نفس الوقت، وذلك بعد فترة طويلة من السير الشاق فوق تلك الرمال العارية. وكانت الجمال تستلذ بمذاق نباتات الرجلة حينًا حينما تنضج وتصبح خضراء طرية. وفي الملّاحة رأينا اثنين من الجمال محملين بالتبن مع حراسهما من البدو.

واصلنا السير حتي وجدنا أنفسنا من جديد في رمال عميقة ثم أخذ الطريق في الارتفاع بلطف فوق الأخدود الرملي الآخر وصولًا إلي **بئر العبد** " **بئر الزنجي** " القمعي الشكل، وهناك قضينا ليلتنا. وهو نفس المكان الذي اختاره البدو لإقامة مخيمهم.

([39]) جبل المغارة: علي نحو 32 ميلًا من مدينة العريش، و 64 ميلًا من مدينة نخل، ينسب إلي مغارة فيه يخرج منها نبع ماء عذب، وهناك آثار رومانية في الأرجح تدلَ علي أن تلك الجهة كانت مأهولة في القديم، ولكن أبنيتها بلا مؤنة كأكثر الأبنية القديمة في الجبال. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 39.

([40]) القوقال: نبات من فصيلة النباتات الخيمية. (المترجم).

لم يكن الوقت متأخرًا علي الإطلاق حينما وصلنا؛ لذا تسلقت ذلك التل الرملي القريب لأرسم صورة لسلسلة جبل **المغارة** وأجعلها مضـــيئة بغــروب الشمس (انظر الصورة). بعد ذلك قمنا بالذهاب إلي أحد أكواخ خفراء البريـــد والذين رحبوا بنا وأفشوا السلام فينا. وهولاء الرجال كانوا عربًا، وعاشوا هناك مع وعائلاتهم، وهولاء أيضًا ·كانوا مزودين بمخزن من الأسلاك وقليـــل مـــن العوازل وذلك لحفظ عمل البريد، وكانوا يضعونها علي فتـــرات علـــي طـــول الطريق ·إلي **بلاد الشام** وإلي المحطة الأولي التي ذكرتها في **قطيا**، وكان كـــل رجل لديه قسم منفصل يشرف عليه ويراقبه، وهذه الترتيبات ضـــرورية جـــدًا وذلك لما يمكن أن يحدث نتيجة التدمير المفاجئ والذي يحدث نتيجـــة الريـــاح الشديدة والمثيرة لرمال الصحراء أحيانًا.

وعند **بئر العبد** يوجد رجلان لكل منهما منزل منفصـــل مبنـــي مـــن القراميد وبسقف مسطح من سعف النخيل، والحياة المنعزلة والهادئـــة لأولئـــك الرجال تبدو غريبة بالقدر الكافي؛ وذلك حينما يفكر المرء في الأخبار الهامـــة والتي تومض باستمرار فوق رأسه وذلك للتواصل بلا انقطاع. ولقـــد اجتمـــع هولاء وتجاذبنا أطراف الحديث معهم لقليل من الوقت ما جعلهـــم مســـرورين كثيرًا، ولكن كان الفزع يتملكهم وذلك نتيجة للمخاطر المتنوعة التـــي تحـــدث لمنازلهم فهي معرضة للرياح القوية والمحملة بالرمال والمعروفة بالخماســـين ([41]). تلك المنازل كانت ضرورية بالقدر الكافي لهـــولاء العـــرب الـــورعين

([41]) الخماسين: هي رياح صحراوية شديدة الحرارة والجفاف تهب علي القسم الشـــمالي من مصر في فصل الربيع، وذلك في مقدمة المنخفضات الجوية التي تمـــر بـــالقرب مـــن الساحل الشمالي للبلاد في هذا الفصل، وهي تهب من ناحية الجنوب بصفة عامة، ونظـــرًا لأنها تأتي من الصحراء فإنها كثيرًا ما تكون محملة بالأتربة والرمال. وقد يحدث أن تصـــل درجة الحرارة في أثناء هبوبها إلى حوالي 45 درجة مئوية ولكنها لا تلبـــث أن تـــنخفض بنحو 15 درجة أو أكثر عندما تمر الجبهة الباردة من المنخفض الجوي وتتحول الرياح إلى

المعتدلين. نهاية قمنا بتوديعهم وعدنا سريعًا للخيام لننال قسطًا من الراحة بعد تناول الطعام.

شمالية أو شمالية غربية. وتعتبر رياح الخماسين من أقسى الظاهرات المناخية التي تشوب مناخ القسم الشمالي من مصر في فصل الربيع. وذلك على الرغم من أنها لا تهب إلا في أيام معدودة. ويعتبر شهر مارس وأبريل أكثر الأشهر تعرضًا لهبوبها، وتعرف تلك الرياح في جنوب أوربا باسم السيروكو. ولرياح الخماسين آثار سيئة على النباتات خاصةً في محافظتي الجيزة والقليوبية حيث تقع أكبر مساحة من أراضي الخضر والفاكهة في مصر، وتتعرض مثل هذه المزروعات الحساسة للتلف الذي ينجم عن انخفاض الرطوبة النسبية انخفاضًا واضحًا دون المعدل. عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا المناخية والنباتية، ط11، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 1381هـ / 1961م، ص 154: 155، 455، 470؛ جودة حسنين جودة و فتحي محمد أبو عيانة: قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 1406هـ / 1986م، ص 160، 264، 265؛ يوسف عبد المجيد فايد: جغرافية المناخ والنبات، دار النهضة العربية، القاهرة، 1394هـ / 1974م، ص58: 63.

4- من بئر العبد إلي بئر المغارة.

بحلول السادسة من صباح اليوم التالي. تحرك الجميع، وفي السابعة نُصبت الخيام. ومن التجويف حيث يستقر بئر العبد ارتقينا أحد المرتفعات المعروفة بحمدة بئر العبد المطلة علي سلسلة جبل **المغارة**، والممتدة علي بعد مسافة. يلي ذلك المرتفع أرض مسطحة مزروعة بنباتات الأفسنتين " الشيح " ([42])، ونوع من الشجيرات رمادية الأوراق ذات براعم زرقاء. ثم وصلنا إلي الملّاحة حيث لاحظنا أن مياهها قد جفت وتركت طبقة من الملح. وبعد فترة قصيرة مررنا عبر ذلك السهل والذي اتسم باستواء سطحه حيث تحده من اليمين التلال المرتفعة المترامية الأطراف.

وعلي نفس الجانب يستقر **بئر المبروكة** ([43])، وهناك شاهدنا جماعة من البدو يسلكون هذا الطريق تليه أرض كثيرة التلال تعرف **بالباصول " البصل** " حيث نباتات الرتم ذات الأزهار البيضاء والأوراق الرقيقة، إلي جانب عدد قليل من الشجيرات. ومن منطقة **الباصول** ينحدر الطريق عبر أرض رملية،

([42]) الأفسنتين: هو الشيح ويسمي أيضًا بشيبة العجوز والشيخ الرومي. وهو نبات سهلي تتخذ منه المكانس، وهو من الأمرار. له رائحة طيبة وطعم مر، وهو مرعي للخيل والغنم. وهو يستخدم في ادرار البول والطمث، وفي طرد الهوام، وعلاج لسع العقارب، وفي قتل دود البطن، وعلاج الاستقساء. والأفسنتين الرومي يمنع السود عن الثياب، ويمنع الحبر والمداد من أن يتغير لونه. الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ج5، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1401هـ / 1981م، ص532؛ ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط المعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1421هـ / 2000م، ص417؛أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلي مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1426هـ / 2005م، ص149؛ الحميري: شمس العلوم، ج6، ص3597.؛ ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، دار الهلال، القاهرة، 1423هـ / 2002م، ص224؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب،ج12، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ / 2002 م، ص224.

([43]) بئر المبروكة: لعله في المنطقة المعروفة بإسم ثميلة مبروكة وهي علي بعد ساعة وربع من بئر العبد. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 254.

وإلي ناحية اليسار رأينا ملاحة الحكومة الضخمة، وعاودتنا ثانية ظاهرة السراب والتي جعلتنا بنشاطها الفائق نعتقد بوجود بحر كبير هناك (انظر الصورة).

خلال هذا الجزء من الرحلة قابلنا اثنين من البدو رحبوا بنا بمزيد من الاحتفال. هنا... أيضًا... تفرقنا بغية اكتشاف المنطقة حيث عثرنا علي عينات من نبات الكوكلاس. وواصلنا المسير عبر تلك الطبيعة الموحشة والمغطاة بالنباتات الشجيرية حيث مررنا بإحدي مراكز البريد والتي لفتت انتباهنا لكونها تتمركز في منتصف الطريق بين **بئر العبد** و**بئر المغارة**.

هنا... التحقنا الجمال والتي كانت في العادة تتقدمنا، ولكن تركناها ثانية حيث قررنا التوقف لتناول وجبة الظهيرة. عندئذ بدأت الرياح تنشط في الجنوب حيث كان الهواء فظيعًا وغير محتملٍ.كما شعرت بالخوف من رياح الخماسين. ولهذا قمنا بنصب الخيام داخل تجويف مغطي بالشجيرات واحتمينا به من لفح العواصف.

غطت الرمال الناعمة كافة ما حملناه معنا من الأزواد والمؤن، وتمكنا من المرور بمساعدة اثنين من البدو الرحل والذين كانوا يتناولون وجبة صغيرة علي الطريق. حينئذ جاءتنا سيدة عجوز تطلب بعض المياه، ولكن لم نعطها شئ هي وكل القبائل البدوية التي زارتنا لهذا الغرض؛ خشية من أن تنفذ أزوادنا في الحال ولهذا كان علينا أن نتكيف مع هذه الحياة البرية الفقيرة، ولكننا لم نقدر. وكنا قد أعطينا شابًا في الثامنة عشر من العمر لفافة من التبغ، وكان قد توسل لنا للحصول علي بعض المياه، ولكننا اعتذرنا له.

كنا قلقين حيال تقدمنا فلم نرتح أكثر من ساعة مستمرين في تقفي أثـر محطات البريد حتي بلغنا منطقة رملية كثيرة التلال تسمي **بالبريج** ([44]) وهي أكثر أجزاء الطريق إرهاقًا ومهابة؛ وذلك نتيجة لسيطرة البدو الكاملة عليه إلي جانب الفقر الكامل للمياه. وإلي اليمين يوجد تجويف صغير حيث قمنا بالحفر به حتي أدركنا تلك الرمال الرطبة ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السـفن، فقـد كانت مالحة مما زاد من حدة العطش بدلًا من أن تهدي من روعه، وكلما تقدمنا في المسير كلما زادت الرياح وشدتها.

خلال الطريق قابلنا عددًا من البدو يعانون من شدة العطش والحـرارة حيث سألونا بعض المياه، وكان ما يفت في عضدنا ويمـزق القلـوب رؤيتنـا لصغارهم يصرخون ويتوسلون لآبائهم من أجل شربة ماء، حتي الآن أمكنني سماع نحيبهم المحزن وتخيله؛ فقد حاول كل شخص تلو الآخر محاولة الحصول علي قطرة ماء واحدة من تلك الزجاجات الطينية الفارغة.

واتذكر إحدي تلك العائلات فقد كانت تتكون من رجل عجوز وثلاثـة أطفال صغار؛ أصغر اثنين منهم امتطوا حمارًا هزيلًا. في حين كـان أكبـرهم صبيًا نحيلًا يبدو عليه لفح الهاجرة ويسير مع العجوز في الخلف، وبينما كـان ذلك الحيوان يصارع بأرجله ذلك المنحدر الرملـي، كـان يمتطيـه الصـغار ممكسين بلجامه بشدة وبوجوه ثابتة علي مسافة الهدف، ولكـن سـرعان مـا أسقطهم من عليه مما جعلهم يتأوهون بصوت عالٍ.

([44]) البريج: هو رجم البريج وكان في تلك المنطقة برج قديم خرب في سفح تلة تُري من الدروب الثلاث (الدرب السلطاني، ودرب الطوايات، والدرب الوسطاني). نعـوم شـقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 254.

وفي رعب وفزع شديدين تدحرج الأطفال الهزال علي الرمال، ولايمكن لي أن أنسي عيون ذلك العجوز وهو يركض مسرعًا ويبكي قائلًا: الله... الله متوسلًا ومتضرعًا لرب السماء. ثم جلس ذلك العجوز علي الرمال ضامًا أطفاله بين ذراعيه، تاركًا حماره يتعافي بمفرده. وكنا مجبرين لأن نمضي فلم يكن بمقدورنا فعل شئ له، ولكن صلينا كي يساعده الرب.

وبعد أن اجتزنا ذلك الموضع بمسافة بعيدة تحدثنا متسائلين كيف حال الطفل هندو ابن الأربع سنوات والذي كان يعاني من التعب والعطش، والذي كان يتخيل أن معاناته كانت لاشئ ولكنه مبتسم. بعد فترة قصيرة ذهبنا إلي صبي المطبخ ذو الأصل المصري والذي لم يتمكن من الذهاب بعيدًا. وكان رفاقنا الذين أنهكت قواهم قد تقدموا للأمام علي دواب الحمل تاركين ذلك الصبي الهزيل، والذي كان ذليلًا بينهم لأن يسلك ذلك الطريق سائرًا علي قدميه عبر هذه الرمال العميقة، وكان ذلك أفضل ما يمكن أن يفعله. كما توسل لمكارينا ليسمح له بالركوب، ولكن ذهبت توسلاته سدي؛ فكل واحد منا اهتم بنفسه فقط. وقد أمرت بإعطائه بعض الخبز واللحم والماء، بعدئذ اضطررنا لتركه كي يدبر أمره، ونزلنا ببطء بين الأخاديد الرملية المستديرة إلي ملاحة المستبق ([45]) الضخمة حيث الرمال العميقة الساكنة. وقد حاول الجّمالة بالحفر والتنقيب عند موضع قريب من مدخل الملّاحة الحصول علي قدر قليل من المياه ولكن محاولاتهم كانت بلا جدوي لذلك اضطروا فقط لأن يرطبوا أيديهم وأرجلهم ويبردوها عن طريق الرمال الرطبة.

تمتد تلك الملّاحة لمسافة كبيرة حيث تتقاطع في مكان واحد مع تل رملي علي شكل سرج، ومحاطة بالأخاديد الرملية من كل جانب. وتنحدر تلك

([45]) المستبق: وهي محطة المستبك الحالية والقريبة من بئر العبد وهي علي مقربة من محطة البقارة.أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص82.

الملّاحة بالتدريج إلي سهل مسطح كبير مع إحدي الارتفاعات البسيطة في المنتصف والقريبة من قبر جندي هذا الزمان إبراهيم باشا ([46]) والمميز بالأوتاد الخشبية. ذلك الموضع اعتاد البدو علي استخدامه باستمرار كمكان للدفن.

وإلي ماوراء هذا الجزء من الملّاحة يأخذ عرضها في الإتساع، وكذلك الأخاديد المحيطة بها أصبحت منخفضة بالتدريج، وقد استمر ذلك المنظر في ناحية اليمين من امتداد جبل **المغارة** . وفي ذلك الوقت فقط فإن الأمطار الغزيرة تجعل الملّاحة تحتوي علي كمية كبيره من المياه، كذلك احتوي الطريق الرملي علي قدر كبير من نباتات الرتم ([47]) ذات البراعم البيضاء والتي كانت تنمو بوفرة.

هدأت الرياح بالتدريج، في حين أتي نسيم المساء البارد من إتجاه البحر عندئذ نادي الجمالة في سرور... الرياح البحرية... الرياح البحرية " نسيم البحر ". لم يمض وقت طويلُ قبل أن تصبح قبة المغارة علي مرمي البصر فقد شعرنا بالانبساط لاعتقادنا بدنو أجل الرحلة، وبخفة ونشاط تقدمنا وبحلول الساعة الخامسة وصلنا إلي المخيم والذي نصب علي مقربة من **بئر المغارة** " **بئر الزيارة** " في تجويف محاط بالتلال الرملية مماثلة لتلك التي في بئر العبد.

([46]) إبراهيم باشا: هو الأبن الأكبر لمحمد علي تولي الحكم عام 1848م بعد اعتلال صحة أبيه ولكنه توفي في نفس العام. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 544.

([47]) الرتم: نبات صحراوي من الفصيلة القرنية، وهو نبات من دق الشجر، بزره كالعدس والبزر يقيئ بقوة، وشرب عصارة قضبانه على الريق علاج نافع لعرق النسا، وكذلك الاحتقان بنقيعها في ماء البحر، وابتلاع إحدى وعشرين حبة منه على الريق يمنع الدماميل. الزبيدي: تاج العروس، ج32، ص214؛ إبراهيم مصطفي وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1400هـ / 1979م، ص327، 328.

وتستقر فوق تلك الأرض المرتفعة وعلي مسافة قصـيرة مـن ذلـك الموضع؛ نصف قبة متهدمة **للشيخ سليمان** بنيت منذ ستين عامًا من الأحجـار الجيرية المتحجرة حيث كان صدف ومحار من نوع Cardium edule بـازر بشكل دقيق، أما الجانب الآخر منها إلي البحر فكان عبارة عن قـوس مـدبب. وفي الداخل توجد مقبرة بسيطة مغطاة بقماش كتاني، ونقش موجود في النافـذة الخارجية، إضافة إلي علم أخضر و اثنين من الرايات البيضـاء. كمـا يوجـد ورقتان تحملان النقش الموجود علي الحائط حيث نقـش فـي أمـاكن عديـدة بحروف حمراء ورموز متنوعة.

وبالقرب من القبة يوجد كوخ يسكنه رجال البريد وهم من أبناء القاهرة، والذين أبدوا لنا الود والصداقة، وأعطونا بعض القهوة حيث قدمها لنـا صـبي وسيم. وبعد أن مكثنا معهم لفترة قصيرة عدنا إلي الخيام مـرة أخـري حيـث وجدنا وجبة العشاء قد أعدت.

وفي ساعة متأخرة جدًا فإن صبي المطبخ الذي كنا قد تركنـاه علـي الطريق وجدنا قد أتي إلي المخيم بصحبة اثنين من الفارسيين الحاملين للسكاكين ومعهم أحد الشباب الزهاد " الدراويش " ([48]) من **أسيا الشرقية**. وكان الأخير ذو شعر طويل يرتدي ثوبًا مصنوع من رقاع القماش ذات الألـوان المتعـددة. وهولاء الأشخاص رافقوا رحلة القافلة لمدة يومين حيث كان كل منهما يحمـل مخلجة " حجر الرحي " ثقيلة. وغالبًا ما كان ذلك يضفي مزيدًا من التسلية علينا ويجعلنا نلاحظ اهتمام ذلك الشاب الزاهد " الدرويش "، ومدي احتقاره لتعبـه،

([48]) الدرويش: هو المتعبد والراهب، وهي كلمة فارسية معربة مـأخوذة مـن دَرْويـش، وأصل معناه قدّام الباب، ومنه درويش بالتركية والكردية، و derviche باللغات الأوربية. السيد أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص63.

كذلك فإنه لم يترك شنطة الصدقات عندما قام بحمل الحجارة علي أكتافه القوية ملتحقًا بنهاية رفقتنا الكبيرة.

5- من بئر المغارة إلي العريش.

غادرنا بئر **المغارة** في تمام السابعة والربع من صباح اليوم التالي وارتقينا أرضًا مرتفعة قليلًا محيطة بنا تاركين الملّاحة الضخمة إلي اليسار والمعروفة باسم **البردويل** ([49]) حيث جعلتها موجات المد العالية تمتلأ بمياه البحر. ثم تتبعنا طريقًا أصغر علي اليمين حيث كان عبارة عن صقع رملي متموج تمكننا من خلاله بعد ساعات عديدة من السير من الوصول إلي الوادي أو قاع الملّاحة المعروفة **بغريف الجمل** ([50]) والمستقر بين سلاسل من التلال المنحدرة.

هنا وجدنا الطبيعة تبدو في جمال بداية العام؛ حيث القطعان ترعي في المراعي ذات العشب الأخضر الرطب، وحيث أزهار كعب الثلج وأزهار الربيع الأخري التي تغطيها. وتمتعنا أكثر بذلك المنظر ولاسيما بعدما ارتقينا أحد التلال إلي ناحية اليمين، وإلي حيث اليسار تستقر الملّاحة المعروفة بالبحر الواسع " **البحر الكبير** " كما يسميها البدو. وكان نسيمه العليل يداعبنا ويداعب ذلك السهل المتناسق مع **جبال المغارة** و**الحلال** ([51]).

([49]) بحيرة البردويل: من أشهر بلاد العريش (بحيرة البردويل) وهي بحيرة عظيمة تمتد من خرائب الفلوسيات علي نحو عشرة أميال غربي العريش إلي خرائب المحمدية علي نحو ثمانية أميال شرقي الفرما. طولها نحو 58 ميلًا وعرضها يختلف من نصف ميل إلي عشرة أميال. وهذه البحيرة تعرف باسم سربونيوس، وكان السفر في هذا المكان محفوف بالمخاطر لان تلك البحيرة لاتبقي علي حال واحدة فكانت إذا سدت الأفواه التي تربطها بالبحر المتوسط تبخر ماؤها الرقراق وبقي في الطريق عدة برك موحلة تسفي الرياح عليها فتغطيها، وتحجب وحُولها نظر المسافرين فيغوصون فيها. وكانت بلدة وبحيرة ورجم البردويل منسوبة إلي الملك بلدوين الأول من ملوك الصليبيين الذي ملك القدس 1100م. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص27، 189؛ أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص7، 67، 68.

([50]) غريف الجمل: هي بركة الجمل تقع في الجهة الشرقية من بحيرة بردويل. نعوم شقير: المرجع نفسه، ص 27.

([51]) الحلال: جبل الحلال وهو جبل عظيم علي نحو أربعين ميلًا إلي الشمال الشرقي من نخل. قيل سُمي بجبل الحلال لأن حولهُ مراعي متسعة للأبل والغنم المعروفة عند البدو " بالحلال "، وينفصل عن هذا الجبل شعبة إلي الشرق تدعي " جبل ضَلَفَعْ " تمر بينه وبينها

وفوق التل تناولنا وجبة الغداء، واستمتعت أعيننا بمنظر البحر البعيد والذي لم نعد نراه طويلًا. عندئذ جاء أحد البدو وجلس معنا دون أن يتفوه بشئ، فأعطيناه قطعة من الخبز، وعلي ما اعتقد أنها أرضته فقد تركنا وهبط من التل. وقد حان الوقت كى نهبط إلي الوادي ونكمل المسير.

ومازلنا نقتفي أثر محطات البريد عبر ذلك السهل المتموج غير المتناسق والمغطي بالشجيرات حتي وصلنا إلي الملّاحة الطويلة والمحاطة بالتلال المنخفضة، وفيما وراءها يوجد ما يطلقون عليه " خطوات " آدم أبو زيت (**أبو زيد الهلالي**) ([52]) بطل الأسطورة العربية، والتي حفظها البدو الرحل في تلك الرمال المتحركة.

وادي العريش. نعوم شقير: المرجع نفسه، ص38؛ عبده مباشر و إسلام توفيق: سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف،القاهرة، 1398هـ / 1978 م، ص69.

[52]) أبو زيد الهلالى: شخصية غريبة غامضة لم يذكر لنا المؤرخون شيئًا تفصيليًا عنها، ولكن فى ثنايا الكتب بعض نتف قليلة هنا وهناك، كان أبو زيد هذا فى القرن الخامس الهجرى وهو من قبيلة " هلال " ، ونسب إليها فقيل: هلالى، وهلال هذه كانت قبيلة كبيرة بدوية تسكن نجد، يجاورهم قبيلة اخرى تدعى سليم، وكلا القبيلتين جفاة سلابين نهابين يخرجون من ديارهم فيغيرون على أطراف الشام والعراق حتى ضجت منهم الدولة العباسية، وأرسلت فى أيام الواثق سنة 230هـ / حملة بأمر القائد التركى بغا الكبير لتأديبهم على ما ارتكبوا من فساد المدينة. وهاجرت القبيلتين إلى مصر ونزلوا بالوجه البحرى ثم طردوا إلى الصعيد لفسادهم، وبالصعيد قاموا بالسلب والنهب أيضا.وفى خلافة المستنصر ثارت بلاد المغرب عليه فنصحه البعض من مشيريه بأن يبعث بهاتين القبيلتين من العرب إلى المغرب فإن ضفروا بالثائرين فقد كسب البلاد وأخضع الثورة وظفر بالخصوم وإن انهزموا وقى الله مصر شرهم؛ فأرسلهم الخليفة للمغرب عام 441هـ / وأعطى كل واحد منهم بعيرًا وديناريين وقال لهم قد أعطيتكم المغرب ففرحوا بها وذهبوا إليها وافتتحوا أمصارها ثم كتبوا الى اخوانهم فى مصر يدعونهم إلى السفر إليهم، وقسمت البلاد بين قبيلتى هلال وسليم ودارت بينهما وبين سكان البلا الأصليين كقبيلة زناتة وصنهاجة حروب يطول ذكرها وفى تلك الحروب اشتهر رجال كثيرون منهم أبو زيد الهلالى. أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 1434هـ / 2013 م، ص29، 30.

وتشير أكوام الحجارة القريبة إلي ذلك المكان الذي يقال أن أبو زيت (أبو زيد) قام بذبح بردوفيل ([53]) " البردويل " ([54])، وعلي اليسار أيضًا

([53]) بردويل: هو البردويل بن راشد، وهو حسب السير الشعبية كان ملكًا من الملوك العظام لوادي العريش، وكان فارس شديد البنيان، وكان مجوسي يعبد النار ويسجد للشمس ويستعين بالجان ويقرأ الطلاسم، وكانت له طاقية إذا لبسها في الحرب اختفي عن عيون مقاتليه. وقد انتهت حياته علي يد أبو زيد الهلالي. تغريبة بني هلال الكبري، ج12 ، قصة البردويل بن راشد، مكتبة الأندلس، بيروت، لبنان، 1322 هـ / 1900 م ، ص325، 342.

([54]) قال الراوي: فلما فرغ أبو زيد من كلامه والبردويل يسمع نظمه استشاط غضبًا وغيظًا فما عدت تسمع الأصياح وهدير ودمدمة في السن مختلفة وكنت تسمع الصوت ولاتري الزوال هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدر أن يختفي من قدام أبو زيد حيث الملائكة العلوية طردت ملوك الجان السفلية إلي سابع أرض وبطيت زيمتهم وعدمت نبعته السحرية ولم تخفه عن الأعين ندم علي ما فرط منه في حرب أبو زيد وكانت عليا تتفرج من الشباك فلما نظرت البردويل قد انقطع أمله وحار في أمره وأبو زيد غلبه فرحت وصارت تزلغط إلي أبو زيد فظن البردويل أن هذا الاغتناء لأجله ولم يعلم أنه لأجل عجزه وفشله فأخذته الحمية والنخوة وهجم علي أبو زيد مثل النمر إذا خطر فتلقاه أبو زيد كما تلتقي الأرض العطشانة وابل المطر وعلا منها الصياح حتي ملا الروابي والبطاح وصار الأمير أبو زيد يدور حول البردويل وهو مشرعًا سيفه الثقيل ورمحه الطويل فحينئذ تيقن البردويل في ذهاب روحه وزوال سعادته فهز أبو زيد في يده عود الزان وصرخ فيه صوت هائل وقال له خذها من يد سلامه لأجل عينين عليا ما لها فردت عليه عليا وقالت له أنا شاهدة ونعم شاهد وقوك ربي يامتين السواعد فلما نظر البردويل هذا تعجب وأخذه الخوف والاضطراب فطلب من أبو زيد الآمان وعلي ما فرط منه ندمان فأنشد من قلب كوته الحسرات هذه الأبيات:

قال ابن راشد في بيوت متممي	النار في قلبي تهب وتضرمي
يا أمير أبو زيد أنا واقع عليك	جيرني ياريت عمرك يسلمي

قال الراوي: فلما فرغ البردويل من هذه الأبيات ونيران قلبه تشتعل بالجمرات وهو متأسف علي مافات قال له أبو زيد دع عنك هذا المقال ولا تطلب المحال ثم صرخ فيه صوتًا مثل الرعد القاصف وانطبق عليه كالموت الخاطف ثم ضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وقرب إليه وحاداه وحك الركاب في الركاب بقلب لايهاب ثم هز عود الزان حتي القوي الكعب ودق السنان وصاح صيحة أرعبته ورفع يده وقال اللهم استر عبدك يامن رفعت السماء وبسطت الأرض وطعن البردويل في صدره خرج الرمح يلمع من ظهره ومن عظم الضربة أصاب الرمح صخرة كانت وراء البردويل فشقها ووقع البردويل علي الأرض يختبط طوله بالعرض وزالت عنه النعم وحلت به النقم وذهبت روحه إلي جهنم فقالت له

توجد قلعة مهدمة مبنية بالأحجار الطفلية الصدفية، ووفقًا لما ورد فى للتـراث العربي فهي كانت تخص **بردوفيل** " **بردويل** ". وهكـذا فـإن مخيلـة أطفـال الصحراء والمناطق المقفرة الموحشة قد غلفت بالاهتمام والربط بين تلك الآثار المهدمة وبين أبطال تراثهم. وعلي مسافة خطوة أو خطـوتين توجـد أطـلالُ مشابهة تعرف **ببرج الحشيش** " **أراضي العشب** " والتي يزعم العرب بأنها بقايا لمدينة قديمة ([55]).

تمتد ملّاحة **البردوفيل** " **البردويل** " العظيمة علي طول تلك الأطـلال. كذلك فإن اتساعها قد بلغ درجة كبيرة في الوسط، وهناك رأينا هيكلًـا عظميّـا كاملًا لأحد الجمال، وفيما يبدو أنه كان حديث الوفاة حيث أن خيولنا قد اشتمت رائحته من مسافة ولذلك احترزوا جيدًا أثناء مسيرهم وبعدوا عنه.

وعلي جانبي الطريق الذي يمتد علي طول سلسلة صغيرة من التلال (انظر الصورة) ؛ رأينا قطعان عديدة من الماشية إلي جانب قبائل البدو؛ كـان من بينهم طفلان حاولا عبثًا الإمساك بأحد الجمال الشاردة، وكان من المسـلي

عليا لاشلت يمينك يافارس الزحام وحامي دين الاسلام وحالا نزل أبو زيد عن ظهر الجواد وسحب لسانه وأزال أسنانه وأخذ الطاقية والدرع والسيف والخودة والرمح ثم تقـدم إلـي تلك الصخرة وكتب عليها بخط واضح هذه ضربة أبو زيد الهلالي سلامة وذكر فـي آخـر كلامه ملعون بن ملعون كل من يمر من هذا المكان ويقرأ الكتابة ولايمسح الغبـار عنهـا والصخرة موجودة الآن في عريش مصر. " تغريبة بني هـلال الكبـري، ج12 ، ص340: 342.

([55]) أغلب الظن أن بقايا تلك المدينة القديمة تقع في منطقة تعرف بالقلس وهي عبـارة عن كثيب عظيم من الرمال يمتد نحو ميلين علي شـاطئ البحـر عنـد منتصـف بحيـرة البردويل. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص27؛ أحمد رمضان أحمـد: شـبه جزيرة سيناء، ص68.

والمضحك لأن تراهم يتناوبون الخدع وخفة الحركة لبلوغ هدفهم وهو الإمساك بالجمال.

استمرينا السير حيث مررنا بنخل **أبو شيه** " نخيل **أبو شيه** "، وعند ذلك وجدنا مجموعات من النخيل الصغير ، وهذه المجموعات مع نباتات البروق ([56]) الزنبقية جعلت الأرض بيضاء اللون إشارة إلي جوار البحر. وكانت المجموعة الضخمة الرائعة تعرف باسم **عتميل جبر** نسبة إلي شاب من أسرة مشهورة قام بغرس هذه المجموعة. وكان الوادي الذي سرنا خلاله طويل جدًا، ومتسع، وغير مطوق بحواجز من كل جانب، وكان يحتوي علي بساتين عديدة من النخيل كان من أكثرها روعة؛ ثلاث مجموعات رئيسية تستقر في وادي صغير إلي ناحية اليسار.

وفيما وراء ذلك يؤدي الطريق الواقع بين تلال الرمال المتحركة وعبر أكثر المناطق الصحراوية الخالية إلي مكان مجهور ومنعزل تمامًا، وبالكاد ما تري شجيرة هناك. كما كانت التلال متلاحقة في صف واحد مع أحد الأودية الصغيرة وبينهما بعض التجاويف. ولم يوجد شئ يفسد هدوء ذلك المشهد الرهيب؛ فلم يكن هناك أي مخلوق يُري أو صوت يُسمع فيما عدا صوت الأمواج المتلاطمة بعيدًا.

ومازلنا نقتفي أثر محطات البريد حتي أصبحنا في الحال علي مرآي من قلعة **العريش**، وهي آخر مركز جهة الشرق من الحكومة المصرية. وبينما

([56]) البروق: نبات، ويقال أنه هو ما يكسو الأرض من أول خضرة النبات، ويقول البعض أنه شجر ضَعيف له ثمر حبه أسود صغار، ويقول البعض أنها بقلة سوء تنبت في أول البقل، لها قصبة مثل السياط، وثمرة سوداء. ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط المعظم ج6، ص401؛ الزبيدي: تاج العروس ج25، ص 42.

كنا نتقدم فوق التلال ثم أكوام الأنقاض؛ بدا منظر القلعة أكثر وضوحًا. وعلـــي طول ذلك كان بمقدورنا رؤية غابة النخيل الموجودة تجاه البحر، وقــد أطنــب الجمالة علي ظلال وروعة ذلك النخيل. وفي الواقع لم يكن هذا المشهد أكثر من مجرد صورة جذابة لعقول أولئك العرب لأن يقطنوا هنا. ولكن حينما شــعرنا بالتعب والإرهاق لسيرنا فوق الرمال المتحركة تحت لهيب الشمس المحرقة كنا في مقابل مشهد زراعات النخيل والمياه الوفيرة علي شواطي البحر النشط.

وحينما اقتربنا من **العريش** اصطف واجتمع بعض الرجال خارج سور المدينة، وبعد أن أجزلنا لهم السلام استمرينا المسير حتي الخيام فـــي الطــرف الجنوبي الشرقي من المدينة. وبمجرد أن وصلنا هنأنا **أبــو نبــوت** لوصــولنا وشعورنا بالآمان عبر هذه الصحراء.

وبعد تناول وجبة العشاء؛ زارنا بعض رجال الهيئات الحاكمة والــذين كانوا في غاية الود معنا، وكما هي العادة قدمنا لهم القهوة والسجائر. ومع ذلك لم يبقوا كثيرًا معنا كما كنا نحن بحاجة إلي الراحة.

6- العريش

العريش ([57]) مدينة صحراوية من أكثـر محطـات **الخـديو** ([58]) تطورًا. كما أنها تملك العديد من الملامح الجديرة بالذكر، والتى تستحق الوصف المفصل. وكونها نقطة لالتقاء القوافل؛ فإن الحياة بأكملها بها كانـت مرتبطـة بتجارة تلك القوافل والتي كان يحملها السكان علي ظهور جمالهم، إنهـا حقًـا وبمعني الكلمة؛ مكان للجمالة.

تستقر المدينة علي بعد ميلين من البحر وذلك علي أطراف الصـحراء حيث الرياح اليومية النشطة التي تهدد بتغطية جزء هائل من المدينـة. وفـي الواقع فإن بعض المنازل قد غُطت بالفعل في الربع الجنوبي الغربي منها.

أما عن مناخها فهو صحي للغاية، ولايري بها أي تساقط للثلوج، ولكن بها عواصف باردة متكررة، وهطول كثيف للأمطار وخصوصـًا فـي شـهر فبراير. وبالنسبة لدرجة الحرارة فهي مرتفعة ولاسيما بعد رياح الخماسين وذلك في فصل الصيف الذي يعد من أكثر الفصول حرارة حيث يستمر لمدة أربعـة أشهر، وتستمر رياح الخماسين العتية قرابة خمسون يومًا، وهي رياح مزعجة خصوصًا هنا وذلك لأنها تأتي محملة بكمية من الرمال.

وبالنسبة لتعداد سكانها فيبلغ حوالي 2400 نسمة باستثناء البدو القاطنين في الجوار. مع استثناء آخر وهو أن الأهالي كانوا من المسلمين الأكثر تعصبًا،

([57]) العريش: مدينة شهيرة علي ساحل البحر المتوسط عند فم وادي العريش، علي نحو ميلين من الأول وميل من الثاني. وعلي نحو 28ميلًا من رفح، و85ميلًا من القنطرة. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص161.

[58]) الخديو: كلمة فارسية وتعني المالك ويلقب بها عزيز مصر، وكثيرا ما تكتـب الكلمـة بهذا الشكل " الخديوي ". السيد آدي شير: الالفاظ الفارسية المعربة، ص 52.

وجزء منهم من أصول تركية، ولكن لا أحد يتكلم اللغة العربية. ويوجد أيضًا ثمانية من المسيحيين ثلاثة منهم نساء.

وتتألف حاميتها من ستين جنديًا؛ عشرة منهم من سلاح المدفعية تحت قيادة حامي الحصن الذي يتمتع بمهام خاصة في عملية ضبط دخول القبائل العربية. وأيضًا كانت لديه هيبة عسكرية كبيرة. في الحال وضع شيخ قافلتنا نفسه موضع شك لذلك قبض عليه وأرسل إلي القاهرة ولهذا أصبحت قيادة القافلة أكثر حرصًا خصوصًا بعد ماحدث أخيرًا وتم معاقبته.

وفي **العريش** لايوجد أثرياء، وثروة أغنيائها في الأغلب لا تعدو أكثر من مجرد امتلاك الجمال ([59]). وعلي النقيض كان هناك العديد من الأشخاص الأكثر فقرًا، وكانوا قد اضطروا للحصول علي جمالهم بالدّين. ونتيجة للظروف السابقة كانت هذه الحيوانات هزيلة، وكذلك كان الفقير المُدان رجلًا محطمًا.

وجملة القول فإنه يوجد في هذا المكان خمسمائة جمل: ستون منها يستخدمها الجنود، والستون الأخرى من الهجن ([60]) واحدة منها تم تعينها لأولئك الجنود أيضًا. وهناك تقريبا اختلافات غير معقولة بين قدرات الجمل

([59]) كان في العريش عام 1899م نحو عينًا يملك الواحد منهم من الإبل والأغنام والنخيل والأراضي الزراعية ماقيمته 500جنيه إلي 3000جنيه وأثراهم: " الحاج كريم عبد الشافي، والحاج يوسف عبد الله الطنجير من العرائشية، والشيخ عطية الغول، والشيخ صبيح محمد من الفواخرية، والحاج محمد صالح البك وإخوانه من الأغوات وفريق الشرابجه ". نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص169.

([60]) الهجن: جمل أو ناقة، والهجين هو الذي أبوه عربي وأمه غير محصنة أي غير عربية. الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت، ص 634.

والهجين، وكذلك بين خيول الحمل الإنجليزية وخيول السباق. وربما تشكلت إحدي الأفكار الاستثنائية عن سرعة الهجن من تواجدها بأعداد كبيرة في مدينة **العريش**، والتي بمقدورها قطع المسافة من **العريش** حتي **القنطرة** بسهولة في يوم واحد. وتعد هذه الحيوانات من أكثرها ملائمة سواء للحمل أو للجري، وكان ذلك مفاد عملية المقارنة بين الجمل والهجين.

و**بالعريش** يوجد عشرة خيول، وعلي الجانب الأخر هناك ما لايقل عن مائة وخمسين من الأتان سواء ذوات اللون الأسود أو الأسود والأبيض والتي استخدمها البدو في السباق. وهناك أيضًا مئتان من الماعز، ومائة من الخراف، وخمسة وثلاثون بقرة. وفي الغالب كانت هذه الخراف والأبقار من بلاد الشام. وفي هذه المنطقة تمت تربية أعداد كبيرة من الحمام، والطيور، مع وجود القليل من الديوك الرومي، والبط، وكذلك الكلاب التى لم تكن هي الأخري بالأعداد الهائلة.

تشمل طيور الصيد في هذه المنطقة؛ طيور السلوي (خلال موسم الهجرة)، والأرانب البرية، والغزلان. والأخيرة يصطادها البدو وهي صغيرة علي مسافة في الداخل، ولكنها كانت تموت باستمرار حينما تنمو قرونها. وكانوا ينقلوها لمسافات طويلة دون ضرر في سلال مصنوعة من أوراق النخيل، حيث كانت أرجلها الصغيرة تطوي تحت بطونها، وكانت رؤوسها تطل فقط من السلال، وكانت تقيد بإحكام بواسطة إحدي الحبال.

وفي البحر المجاور يكثر وجود الأسماك، وكان يتم اصطيادها في ضوء القمر بشباك علي شكل الجرس، أما شباك الجر والسحب فلم يتم

استخدامها هنا. ولم يكن فى العريش نفسها أكثر من عشرين شخصًا يمتهنون حرفة صيد الأسماك. ومع ذلك كان هناك العديد من صيادي الأسماك الذين تولوا عملية إعداد السمك المملح الذي يجلب من **دمياط** ويعيش خلف بحيرة **البردوفيل (البردويل)**. وبنفس الطريقة كانوا يصطادون الأسماك من الملّاحة المشار إليها سابقًا، والتي يوجد بها أعداد ضخمة من سمك البوري. وكان العرب يستأجرون أماكن الصيد من الحكومة، ولهذا فكروا في إنشاء قارب للصيد حيث كان الصياد **هيثرتو** دائمًا ما يأتي من **بورسعيد** إلي هنا علي طول الساحل سيرًا علي الاقدام.

وبالنسبة لأشجار نخيل **العريش**؛ فهناك مايربو علي ستة آلاف نخلة هم عماد الإنتاج المحلي. ولم تتلق الحكومة أية ضرائب عنها، وكان الترخيص الذي يُمنح لهم يأخذ في الاعتبار كونهم من سكان المحطة والمنطقة المتاخمة لها. ولم يكن هناك أي صناعة للنبيذ من نخيل مدينة **العريش**، بل كانت عصارة النبات تدخل بالأساس في عملية إعداد السكر. بينما التمور السوداء والحمراء فيتم الاحتفاظ بها للاستهلاك المنزلي، في حين الصفراء والعجوة كانت تصدر في جوالق.

وتتكون فاكهة هذه المنطقة في الأساس من التين، والعنب، والأخير كان يزرع في الجزء الغربي من المنطقة. ويوجد أيضًا العنب الأبيض في معظم المدينة. وكنا قد سمعنا أن حاكم **العريش** حاول صناعة النبيذ من تلك الأعناب. وتحتوي المدينة أيضًا علي الشمام، وتمتد زراعته هنا وخاصة بكثرة في الوادي، ويقومون بحفظه لبعض الوقت بتعليقه. أما خضروات المدينة فتنوعت

مابين الطماطم، والثوم، والبصل، والجزر، والشعير، والقمح، والذرة، والحمص (الكرسنه) الحلو الصغير وجميعها تفاوتت زراعتها من حيث الكثرة والقلة.

أما عن الحرف الصناعية فكان غالبيتها مهمل تمامًا؛ فالقليل من أصناف القماش.. إلخ كانت تصنع من أجل الاستهلاك المنزلي فقط. وتشمل هذه الحرف علي سبيل المثال: صناعة المعاطف الشتوية من جلود الأغنام (تصنع من جلود الأغنام الخارجية البسيطة، وكذلك من الشعر الذي يغطي-الجسد)، وصناعة الجوالق من شعر الجمال، والمشابهة لصناعة الطواقي (وهي غطاء للرأس أكثر عملية يوفر الدفء الناتج من وضعها تحت الطرابيش التي يرتديها الموظفين ورجال الجيش)،وصناعة العباءات السوداء والمخططة من أصواف الأغنام مثل مثيلاتها المصنوعة في بلاد الشام .

وتجارة هذه المنطقة ضئيلة ولايعتد بها؛ فقد كانت عبارة عن تجارة عبور " ترانزيت "، وفي الحقيقة فإنها قليلة بالنسبة لكونها محطة للجمالة؛ **فالعريش** لاتملك أية تجارة ولهذا عانت كثيرًا من إنشاء **قناة السويس**؛ حيث كانت غالبية التجارة بين **بلاد الشام** و **مصر** تسلك الطريق البحري اللهم إلا جزءً كبيرًا يسلك طريق القوافل الشهير.

ولم تكن هناك أية بضائع تصدر من **العريش** عن طريق البر فيما عدا تصدير التمور إلي غزة ([61]). كما أنه لايوجد بها أية قوارب، حيث أن

([61]) غزة: مدينة علي شاطئ البحر المتوسط، وهي علي بعد 10 أميال من الخليل بإتجاه الغرب، وكانت تسمي عام 1172م باسم " غزره ". Theoderich , Description Of The Holy Places (circa 1172 A.D) , Trans. By , Stewart , Aubrey , in.P.P.T.S., vol.V , London , 1891, p.55.

شاطئها غير صالح وملئ بالشعاب المرجانية. أما عن الذرة والفاكهة فغالبًا ما تأتي من **يافا** عن طريق البحر" السفن " ، وأحيانًا تأتي منها الأخشاب لأغراض البناء، ولم يكن ذلك بصفة مستمرة فقد كانت غالبية الأخشاب المستخدمة في **العريش** تأتي من الوادي. ولاتأتي هذه السفن معًا أكثر من خمسة عشر أو ستة عشر مرة في العام الواحد سواء كانت محملة كما سبق الذكر أو مستقرة، وتعود محملة بحمولات من الشمام، والتمور، وتمور العجوة. وأحيانًا تتحطم السفن في مثل هذه الشواطي الغير مؤهلة لاستقبالها.

وكما ذكرنا بالفعل فإن الخدمات البريدية بين **العريش** والعالم الخارجي يتم توفيرها من خلال الرسائل البريدية الأسبوعية المرسلة من القنطرة عن طريق الهجن.

والآن سأعطيك وصفًا للمكان نفسه؛ **فالعريش** تقع علي طول جانب من التل المتموج المقابل للبحر عند سفح القلعة المربعة الأضلاع والمبنية بالأساس من الأحجار الجيرية والكلسية. والمدخل الوحيد لهذة القلعة عبارة عن باب ضخم يفتح علي المدينة، وبالتالي يوجد البحر علي الجانب الأخر. وعلي الجانب الأخر من الباب يوجد برج مستدير مزود بعمود رخامي _ تاجه مقلوب _ ومبنى في الحجر. وفي الأعلي توجد خمسة ألواح مزودة بالنقوش، وستة ألواح أخري مستقرة أسفل المزغل، حيث قتل الفرنسيون حامل اللواء (والذي سيذكر قبره عما قريب).

ويطلعنا النقش السفلي علمًا أن هذه القلعة يبلغ عمرها ثلاثمائة وسبعة وعشرون عامًا، كان قد بناها **السلطان سليمان**، أما الألواح العليا فتحمل اسم

السلطان سليم ([62]). وهذا الباب مزود بحوامل حديدية تقود المارة إلي مدخل قاعة علي شكل حرف T، وفي المنتصف توجد قبة بيضاوية الشكل، وعلي الجانب الآخر توجد أقواس مدببة قليلًا. وعند المدخل توجد قنطرة مستديرة، وأخري مماثلة لها في الطرف المقابل من القاعة حيث يتدلي منها مصباح، كما يوجد ثلاثة درجات تؤدي إلي المسجد حيث كان هذا الصرح أكثر بساطة؛ فقد غطي بسقف مستوي من سعف النخيل يحتوى علي صفين من أربعة أقواس

([62]) نقش فوق باب القلعة علي لوحة من الرخام كتابات تبين تاريخ بناء القلعة في العصر العثماني واسم المنشئ وفيما يلي بيانها:

الحجر الأول: وما النصر إلا من عند الله.

الحجر الثاني: الضغراءُ وفيها اسم السلطان (سليم سليمان).

(وتحت الطغراءُ حرره سيد محمد أسعد. خليفة تاريخي سنة 1214هـ) 1799م.

الحجر الثالث والرابع والخامس: تحتوي علي ثلاثة أبيات شعر بالتركية علي كل حجر منها بيت وهي:

كلنجة جاريارك هميتله فتحنه حصنك ملكلر جملة امداداتيدبلربو فتح غرّايه

وزير أعظمي يوسف ضيا باشا ديدي تاريخ مجوهر مصراع ثاني سردارطاق والاية

زهي صاحبقران سلطان سليم خان ثالث غازي عريشك فتحي أيبة آصدي سيفن عرش أعلايه

في سنة أربع عشرة ومايتين وألف.

وترجمتها: لما أتي بعون الله السلطان لفتح الحصن أمدته الملائكة كلها في هذا الفتح الأغر. قال وزيره الأ[illegible] باشا تاريخيا في الحروف التالية من المصراع الثاني الذي نقش في طاق الحصن الثاني. حبذا الفاتح سليم خان الثالث الغازي فإنه بفتحه العريش قد علق سيفه في العرش الأعلي سنة 1214هـ (1799م).

الحجر السادس: أمر بإنشاء هذه القلعة مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد بن السلطان عثمان خلد الله ملكه وقدس شوكته وأعز دولته بمحمد وآله وسلم تاريخه في المصراع الأخير.

في عصر بادشاهمر مرحبا بالعارفين

وابشروا فيه أمن ال[illegible] 968هـ سنة 1560م. أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص156، 57[illegible] ص 162، 163.

مدببة، وكذلك أربعة أعمدة رخامية قديمة منحوته في الحجر. وإلي يسار المحراب يوجد اثنان من الأعمدة الرخامية البسيطة عليها نقش جداري.

وكان المنبر بنفس الهيئة؛ فقد صنع من الخشب المدهون باللون الأحمر والأخضر، ويقوم علي خدمة ذلك المسجد أربعة أشخاص كان من بينهم راهب([63]). وبالمرور يمينًا عبر الباب الجانبي وفي مقابل الجامع وجدنا تابوتًا حجريًا لأحد الفراعنة وهو مصنوع من الجرانيت الأسود يستخدم الأن كحوض مياه، وهو مغطي من الداخل والخارج بحروف هيروغيليفة صغيرة.

أما داخل الحصن فهواه جاف. كما وجدنا منازل طينية متهدمة للجنود، وإلي الجانب بعض الشئ يوجد ديوان الحاكم وهو يتألف من بهو بقنطرتين مستديرتين. وفي الداخل يوجد أرائك مغطاه بالسجاد الفاخر. وهناك قمنا بانتظار الحاكم، وطبقًا للعادات الثابتة قدمت لنا القهوة. بعدئذ قام الحاكم باصطحابنا إلي مخزن الأسلحة حيث كانت هناك قطع صغيرة محملة علي الجمال، بعد ذلك قادنا إلي أعلي الحصن.

وهذه القلعة بأكلمها كما ذكرنا كانت علي شكل مربع وتحتوي علي أربعة أبراج سداسية الأضلاع مع بعض المزاغل (فتحات) للمدافع البرونزية، وكان الدهليز في حالة مهدمة وهو يمتد حول كل الأسوار مع متراس ارتفاعه يبلغ سته أقدام ومزود ببعض المزاغل. وأبراج تلك القلعة تشرف علي مشهد كبير من الصحراء، مع سلاسل جبال **الحلال** و**المغارة** البعيدة في الجنوب الشرقي حيث زراعات النخيل التي تنتشر تجاه البحر وفي مدنية **العريش** نفسها.

---

(63) يقصد شيخ.

وعلي اليسار من باب القلعة يوجد سياج صغير مغطـي بالشـجيرات إشارة إلي قبر **بيراكتر** حامل اللواء والذي قتله الفرنسيون في فتـرة **نـابليون**، وكان ذلك القبر بسيط مبني من الطين، ومزخرف عند زواياه بالأعمدة القديمة.

خلاصة القول فإن **العريش** بدت في حالة فقر مدقع؛ فشوارعها وعـرة وغير معبّده، وأرضها رملية. واللون الرمادي هو الغالب عليها اللهـم إلا فـي بعض الأماكن يكسر حدته لون زراعات النخيل التي تبدو بارزة فوق المبـاني التي كانت مبنية من الطين والقش حيث كانت القراميد الطينية تصـنع مـنهم مخلوطين بالأسمنت. كذلك أسقفها كانت مسطحة ولكنها أكثر خشونة. ومعظـم هذه المنازل كانت مزودة بأفنية صغيرة متصلة بأبواب منزلقة قاسية. وكانـت العادة أن يري الفرد عليها أقواسًا منحنية. وتقريبًا كانت تلك الأفنيـة مربعـة الأضلاع ومزودة بقضيب خشبي كقطعة رأسية.

وعلي تلك الأبواب تم تعليق جماجم الجمـال التـي وضـعها أولئـك المحتلون، والذين كان غالبيتهم من الجماله، وذلك حماية من الأرواح الشريرة. وأعلي أبواب المدخل تستقر أفرع ضخمة من نباتات الطرفـاء التـي علقـت بالأساس من أجل تظليل المكان. وكانت هذه الأفنية البسيطة تحتـوي علي قدر قليل من الأشياء الضرورية، كما كانت ملكًا خاص للسكان حيث كانوا يرعون بها مواشيهم.

وهؤلاء نادرًا ماكانوا يتواصلون مع بعضهم البعض، ولكـنهم كـانوا قريبين من الغرباء مالم يرافقهم أحد الملاك، وكانت أمتعتهم وآثاثهم عبارة عن قليل من آباريق المياه و أوعية طينية كبيرة الحجم علي شكل براميل خشـبية؛ وذلك لتخزيين الحبوب، والتي كانت تغلق عندما تمتلأ عن آخرها، وعند الحاجة

لبعض الحبوب يتم الحصول عليها من فتحة موجودة في أسفل البراميل. كذلك فإن حظائر الدواجن كانت تبني من الطين علي شكل الجرس، وتغلق بحجر عند الضرورة. بالإضافة لذلك كانت هناك أعشاش الحمام في المزاغل في الحائط الطيني حول الفناء أو في حائط المنزل نفسه.

وإلي جانب الباب توجد أفران الخبز الصغيرة حيث توقد النيران أسفلها. وفي المطابخ يوجد أيضًا أفران صغيرة للخبز بقمم مسطحة مثل مثيلاتها المنتشرة في **مصر**. وأغلب منازل السكان الأثرياء لم تكن بالأساس مزودة بأفنية مسيجة من كافة الجوانب، وأحيانًا تكون نوافذها مزودة بحوامل من أجل الجرار و المواد المنزلية.

أحيانًا كانت تبني أعمدة وقواعد داخل المنازل، وعادة ما توجد أبواب خشبية تفصل بين تلك المنازل والأفنية التي كانت تصلح كنوافذ أيضًا، كما كانت تضاء العديد من الغرف عن طريق بعض الشبابيك والنوافذ الصغيرة، والتي بنيت من سعف النخيل الملتصق بالحائط الطيني. وهناك أيضًا طابق علوي قريب من الفناء عن طريق درج متهدم من الرخام المصدف، كذلك كان الدرج والطوابق في الداخل من الطين، في حين كانت أسقف تلك المنازل عبارة عن حزم مترابطة من الأوتاد وسعف النخيل مغطأة بأوراق النخيل، وأخيرًا يغطى الجميع الطين جميعًا. وهذه المنازل مزودة بطوابق علوية يسكنون بها في فصل الصيف، وهي في العادة مزودة بنوافذ خشبية عديدة لتهويتها، ومعظم تلك المنازل بها جزء مخصص لتربية الماشية والأغنام.

يوجد بتلك المدينة القليل من المناطق التي تستحق الزيارة؛ ففي شرق حصن مدينة **العريش** توجد مقبرة **محمد الدمياط** (64)، وهي بسيطة، ومربعة

([64]) مقبرة محمد الدمياط (الدمياطي): هي مقبرة موجودة داخل جامع موجود بالعريش كان هذا الجامع قد بنى بأمر سمو الخديو الحالي فاستخدم في بنائه بعض حجارة القلعة

الجوانب، وتحمل نقشًا يونانيًا. وفي مقابل ذلك يوجد خان ينزل به الماره يحتوي علي صهريج تحت الأرض مازال يحتوي علي المياه، و يوجد فوق قطعة أرض غير مستوية تعرف باسم أرض **الشيخ الكاشف؛** كُتاب أو مدرسة للأطفال يجتمعون بها ليتلقوا تعليمهم علي يد معلم ضعيف البصر.

أما عن وسط المدينة فيوجد به سوق صغير أو بزار وهو عبارة عن عدد من الأكشاك البائسة (انظر الصورة)، حيث كنت أبحث عبثًا عن بعض النماذج من الصناعة المحلية. وحينما كنت منشغلًا بإحدي لوحاتي كانت لدي الفرصة لرؤية بعض العملات القديمة الموجودة في الجوار.

وفيما وراء تلك الأرض توجد مقبرة مسيجة بسياج من الشجيرات الشوكية، وعلي مقربة منها توجد شجرة نبق قديمة جدًا، وكان ذلك الجانب من أكثر الجوانب المهملة. وهناك أيضًا توجد أعداد ضخمة من المقابر علي شكل الدرج، وأنواع مختلفة من الأعمدة التي انتشرت هنا وهناك، بعض منها كان مزين، إلي جانب قبة هرمية الشكل مغطاة بالطين عرفت باسم قبة الشيخ غبارة([65]).

وعلي الجانب الشرقي المقابل لتلك المقبرة يوجد ارتفاع طفيف في الأرض خلق منظرًا جيدًا للمكان بأكمله، إضافة إلي أشجار النخيل المترامية

الرومانية علي جبل لحفن. ونقش علي عتبه بابه بأحرف ناتئة " أنشئ هذا المسجد المبارك في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة 1317هـ 1899م ". نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 164.

([65]) قبر الشيخ غبارة: أو قبة الشيخ جبارة وهي في جبانة العريش القديمة. قيل هو من أولياء البادية ويدّعي الملالحه أنهُ من أجدادهم. وقد رمم هذه القبة عثمان بك فريد أيام كان محافظًا للعريش وبني بجانبها سبيل ماء وكتب علي حجر رخامي فوق باب القبة هذه العبارة: " هذا مقام الشيخ جبارة جدده عثمان بك فريد محافظ العريش سنة 1317هـ سنة 1899م ". نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 164.

تجاه البحر، وكذلك السهل المزروع بأشجار التين بين الكثبان الرملية للساحل والمقبرة. وحينما كنت أسجل هذا المشهد بفرشاتي؛ اقترب رجل كبير ونظر إلي قبر بعض الأطفال، وما من شك أنهم كانوا من ذويه، ثم رفع بصره متسائلًا عما إذا كنت أبًا مثله ولكن بنبرة أكثر عطفًا أجبته بالنفي، حقًا إنه "رجل مسكين! ". وهذه هي القيمة العالية التي يكنها هؤلاء علي نعمة حياة الأسرة . " ولكنه " أضاف بعد صمته " نحن يجب أن نرضي بمشيئة الله ".

هنا وهناك لاحظنا وجود مقابر بحالة جيدة تحيط بها نباتات الصبر، حيث كانت واحدة أو اثنان منها ذات جدران بيضاء، ومن جانب جهة الدفن القاحلة كانت هناك العديد من طيور الحداة السوداء، وصقور العوسق، والتي بدت وكأنها أرواح تغادر المكان.

أما عند الناحية الغربية للمقبرة، وأسفل المدينة يوجد وادي أو منحدر مزروع بنباتات الطرفاء وأشجار التين؛ يحتوي علي ثلاثة آبار مزودة برافعات للمياه. وهناك أيضًا أعداد من النساء والأطفال حاملين للقدور السوداء وقادمين من غزة إلي هناك لملء المياه. ولنا أن نتخيل الحياة الرائعة والحيوية في هذا المشهد؛ فالمياه مالحة مثلها مثل كل الآبار في المكان، في حين كانت مياه الوادي عذبة تمامًا.

واصلنا السير في إتجاه الغرب حتي بلغنا إحدي محطات البريد وبداية الطريق المار عبر الصحراء والممتد أمامنا. وهذا الطريق هو نفسه الذي جئنا من خلاله إلي **العريش**. وأطلال المباني القديمة والتي تشير إلي أنها كانت مأهوله منذ فترة الحروب الصليبية ([66])؛ كانت منتشرة في كل مكان. ومعظم

([66]) الحروب الصليبية: هي حروب شنها الغرب علي الشرق الاسلامي، وساد الاتفاق علي أن مداها الزمني يمتد من 1095م وحتي عام 1291 م ولكن قبل تلك الفترة وبعدها

هذه الأطلال يمكن اقتفاؤها بوضوح. ويقال إن العملات القديمة مازالت موجودة تحتها. وهناك أعداد هائلة من نباتات الصبر والتي ربما تشير إلي بعض المقابر الموجودة في هذا الموضع. وكان ذلك المنظر الجيد للمكان وللبيئة المحيطة به يشمل البحر وأشجار النخيل الخضراء المحيطة بالقرب منه.

ومستشفي الحجر الصحي lazaretto ([67]) عبارة عن بناء رث مزود بسارية علم، ومنزلين أنشئ كل واحد منهما علي جانب. أما مدخلهما فكانا في الجهة المقابلة للطريق المؤدي إلي بلاد الشام. وفي مؤخرتهما يوجد فناء يحتوي علي حديقة صغيرة غير مزودة بالمياه ولهذا كانت تجلب من الوادي.

هناك حروب أخري. علي أية حال فإن أشهر تلك الحروب ثماني حملات؛ اتجهت أربعة منها نحو الشام (الأولي والثانية والثالثة والسادسة)، واثنين علي مصر (الخامسة والسابعة)، وواحدة علي افريقيه (الثامنة)، ومن أسبابها: الباعث الديني " في كونها كانت حروب دينية استهدفت عن طريق مباشر أو غير مباشر الاستيلاء علي الأرض المقدسة بالشام "، والباعث الاقتصادي بكونها " تجربة في الاستعمار الغربي قامت بها الأمم الأوربية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق "، وباعث اجتماعي من كون " معناة أوربا من حياة فاشلة مليئة بالذل والهوان ولاسيما في انتشار النظام الاقطاعي ". قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، ط1، دار عين للدراسات، القاهرة، 1419هـ / 1999م، ص 11؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج1 ، ص 25: 27، ص37، 39.

([67]) الحجر الصحي lazaretto: كلمة لازاريت " lazarette " هي كلمة لاتينية معناها (ladre) يعني الأبرص أو المجذوم. وكانت الدولة الرومانية تبالغ في الحجر علي المجذومين بل كانوا يضعونهم تحت الحجر طول حياتهم وكان عقاب من يخرج عن نطاقه منهم أن يضرب بالرصاص، وهو قانون حق لولا أنه مبالغ في شدته. ويقول البعض بأن أصل تلك الكلمة " lazarette " أتي من الكلمة العربية (الازهرية) وذلك لان الأزهر بمصر انما هو ملجأ العميان والشيوخ المتقاعدين، وهو كلام أساسه الجهل المطبق أو التحامل علي الأزهر. علي أية حال أقيم أول محجر صحي 1403م في البندقية، وفي عام 1832م بني أول محجر صحي بالأسكندرية في الشاطبي. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 305، 306، 308.

وهيئة هذه المنازل مثل بقية منازل **العريش** عمومًا لكن قليلًا منها علي النسق الأوربي بعض الشئ، وفي هذا النطاق عاش مندوب الحكومة النحيـل، والذي سيطر علية نائبه، وهو مثال جدير بالملاحظة علي خليط الأجناس التـي انتشرت في هذه المدينة. حيث كان والده من **دالماتيا** ([68])، والـذي تنسـب عائلته إلي **سيبنكو**، وهو نفسه كان قد ولد في **مصر** من أم نوبيه لـذلك كـان قمحي اللون. كما كان قد تلقي تعليمه في **دالماتيا**، وكان مسيحي الديانة.

ولم تكن عملية الحجر الصحي تتم في ذلك المبني ولكن تتم في الخيام، حيث تبقي الأخيرة منصوبة وجاهزة في مكان العمل كلما دعت الحاجة إليهـا. واصلنا السير في جنح الليل من منطقة الحجر الصحي بإتجاه البحـر، والتـي يوجد فيما وراءها زراعات النخيل الجميلة التي تبعد عن العريش مسافة ليست أكثر من نصف ساعة من الركوب.

وقد أدي بنا الطريق أولًا إلي قبر النبي جاسر (**ياسر**) ([69]) " انظر الصورة " وهو مكان هادئ للدفن مزروع بنباتات الطرفاء ذات اللون الأخضر الداكن والمتناغمة مع الرمال الصفراء تزاحمهم فـي المشـهد خلفيـة الأرض والسماء. ويتوافر في هذا المشهد الراحة والأطمئنان ساعد فـي ذلـك سـكان الإمتداد الهائل للصحراء والبحر اللذان يتقابلان هنا وكأنهما يتنافسان معًا.

وعلي الجانب الآخر من القبة تناثرت أجزاء من البناء القـديم، وفـي داخله فإن الباب الذي يحمل نقشًا عربيًا هو عبارة عن قبة مخروطيـة الشـكل

([68]) دالماتيا: منطقة على الساحل الشرقي من البحر الأدرياتيكي، تقع معظمها في كرواتيا الحديثة (المترجم)

([69]) قبة النبي جاسر (ياسر): قبة قائمة علي تل مرتفع فوق شاطئ البحر فـي مكـان يدعي اليزك. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص165.

تعلو أربعة أقواس ([70])، وإلي اليمين وعند الدخول يوجد ضريح النبي جاسر حيث يوجد فوقه غطاء من القماش الأخضر علي إطار مــن الخشــب. وإلــي اليسار من ذلك يوجد قبر أحد تابعيه.

وعلي الجانب الأخر في الرمال توجد العديد من المقابر، والتي يســتدل عليها من نباتات الصبر المزروعة حولها. وفي الكثير من الأمــاكن انتشــرت قطع من عمود رخامي أو من الحجر، ولكن لا يمكن البقاء هنا طويلًــا؛ فقــد اختفت آثار الأقدام بفعل الزمال المتحركة. وعلي جانب تلك القبة توجد شــجرة طرفاء عتيقة مورقة يطلق عليها الناس الأثل، وتتميز بأوراقها الرقيقة، ويوجد هنا العديد من الأمثلة علي ذلك وتعرف بإسم طرفا.

وبالمضي تجاه الشرق من قبر **النبي جاسر**؛ وصلنا إلي الوادي الفسيح حيث قمنا بجلب المياه من التلال، تلك الأخيرة ربما تقاطعت مع بعضها بالقرب من شاطئ البحر، أو عند موضع ضحل علي مسافة ليست بعيدة. وعلي يســار الوادي توجد العديد من الحدائق الغناء إلي جانب أعداد هائلة من الآبــار. أمــا أشجار النخيل الضخمة فتستقر علي يمين الوادي، وتمتد نزولًا بــالقرب مــن البحر. وعمومًا فإن تلك الأشجار كانت ذات أحجام صغيرة ولكنها ذات ارتفاع ضخم.

كان هذا المشهد محفزًا للخيال بقوة، فقد كان من الصعب وصف الهدوء الرهيب المسيطر علي هذا المكان. كذلك فــإن الصــوت المنــتظم للأمــواج

([70]) جدد بناء هذه القبة عثمان فريد المار ذكره ونقش علي رخامةٍ فوق باب القبة هذه العبارة: " هذا مقام نبي الله ياسر صاحب الفضل والمآثر عليه السلامَ جدَّده عثمان بك فريد محافظ العريش سنة 1317هـ 1899م ". نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص166.

المتلاطمة كان متناغمًا مع همس النسيم العليل عبر النخيل ، وإلي جانب ذلــك كانت طيور الحداة تطير في الهواء بلا هدف. كذلك فإن المنظر الخادع لظــل النخيل عبر التيجان المورقة حيث يتخللها الضوء في شكل أمواج مرتعدة. كذلك اتحدت أوراق النبات بلونها الأخضر الداكن والفاتح في مقابل زرقــة الســماء المصرية لتظهر هذا التأثير فكان جلي أن نذكره.

وهناك تنتشر مجموعات مختلفة من أشجار النخيل، إلي جانب المروج الخضراء، حيث كانت تروي عن طريق سبعة آبار، وعندها يوجد أيضًا عشرة أكواخ متوسطة يقطنها العرب الرعاة. وتمتد تلك الأشجار لمسافة علي طــول الوادي. ويوجد في الوادي بأكمله ثلاثون بئرًا من المياه العذبه من أجل تزويــد حدائق الخضراوات بالمياه حيث يزرع البصل والطماطم والشــمام. ويحتــوي أيضًا علي أعداد هائلة من بساتين النخيل الصغير المزروعة حديثًا. وفي الحال وفيما وراء تلك المنطقة المروية تطل الصحراء القاحلة بوجهها من جديد.

7- من العريش إلي الشيخ زويد.

أخيرًا غادرنا **العريش** بأهلها الودوديين، وفي صباح ذلك اليوم جاء الحاكم ورفقائه ومعارفه لوداعنا، ثم انطلقنا ناحية الشرق، ومن بعيد قمنا بالتلويح لهؤلاء الأفراد بإشارات الوادع وهم أيضًا تفاعلوا مع ذلك في مودة. وقد وجه الحاكم لنا النصيحة بعدم التوقف في الطريق حتي نصل إلي منطقة الشيخ زويد ([71]) وذلك لكونه خبيرًا بالطريق بين **العريش** وذلك المكان لكون الأخير غير آمن للانتظار أو للتخييم، ولهذا زودنا الحاكم بشخص يدعي رمضان وهو رجل قوي البنية بملامح لفحتها الشمس؛ ليرافقنا ويحمينا في حالة إذا ما اعترض طريقنا أحد البدو الأشرار. كذلك كانت حامية القافلة قد امتطت الهجن، وتسلحت بالسيوف الطويلة وبالأسلحة النارية العربية. هذا بدوره يبرهن علي الرفقة الكريمة النافعة.

وفي الحال غادرنا **العريش** وتقدمنا في السير علي طول الوادي ذو الطبيعة الطينية، وعلي الضفة المقابلة منه عثرنا علي مكان للدفن خاص بالبدو يحتوي علي العديد من المقابر إلي جانب أعداد ضخمة من نباتات الصبر. بعدئذ وصلنا للجانب المقابل للوادي بهيئته المشابهة للمنحدر حيث كان ذو طبيعة طينية متآكلة ومتعرية بفعل المياه.

وهناك يستقر مركز للحامية يقطنه الجنود الذين طالبونا بشهادات صحية. وكنا قد أخبرناهم بأن كل شئ تم إعداده في **العريش** التي غادرناها بالفعل، ولهذا سمحوا لنا بالمرور دون أية استفسارات أخري. وفيما وراء ذلك

([71]) منطقة الشيخ زويد: قرية عبارة عن مجموعة من المنازل في طريق العريش علي نحو 18 ميلًا من مدينة العريش، وعشرة أميال من رفح، ونحو ميلين من شاطئ البحر. وأهلها أخلاط من خان يونس والعريش جاؤوها فأسسوها علي أنقاض بلدة قديمة العهد. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص172.

المركز يمتد الطريق عبر سهل صغير مكشوف، ثم يرتفع الطريق لمسافةً فوق التلال الرملية ذات الطبيعة المتموجة. وهناك لاحظنا وجـود بعـض نباتـات البروق، وكذلك الأراضي المزروعة بالذرة هنا وهناك. وكلما تقدمنا صوب تلك النباتات وجدناها أكثف وأكثف، و وعلي يسارنا فقط امتـدت الـتلال الرمليـة المكشوفة.

وهناك رأينا العديد من البدو يعملون في الأرض حيث امتلكوا العديـد من الحقول التي يقومون بزراعتها دون أية آلات سوي بالفئوس العادية وأحـد الخيول أو " الجمال ". و هناك يزرع هؤلاء في عدة مناطق نوعًا رديئًـا مـن العشب يدعي هافور [72]، حيث يمثل مرعي ممتاز. وقد رأينا أعدادًا لا بأس بها من الماعز والأغنام تبدو في حالة جيدة.

وبعد أن تخطينا الأودية الخصبة الضخمة حيث **وادي الجردي (الوادي الأرضي)**، وكذلك **وادي الحروبة** [73] **(وادي طعام القديس يوحنا** ــ الخرنوب

([72]) هافور أو حافور لم نجد أية ذكر لهذا العشب بجميع المعاجم النباتية ولكن وجـدنا بعض الأعشاب التتى تتشابة مع ذلك العشب من حيث المنطوق اللفظى ولكـن لانعلـم إن كانت تتشابه معه من حيث التركيب أو التعريف وهما نبات كافور، ونبات حـافر، ونبـات حفارة. أحمد عيسى بك: معجم أسماء النبات، ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1349هـ / 1930م، ص 48، 49، 54، 66، 95، 129، 192.

[73])الحروبة: هى الخروبة وهى بين الزعقة ورفح حيث الشجرتان؛ والأخيرة هى موضـع الشجرة التي تعلق فيها العوام الخرق، وتقول هذه مفاتيح الرمل. وكانت الخروبـة قـديمًا تعرف بالعش – وقد بني بها خان سبيل، وعملت ساقية يجري منها المـاء إلـى حـوض تستسقي من المارة والحلال. العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسـين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408 هـ / 1988 م.

أو شجرة الخروب)؛ ارتقينا أحد التلال ومنه استطعنا رؤية ذلك المنظر الممتد " انظر الصورة ". ومن هناك يمتد الطريق عبر وادي صغير مكسو بنباتات شيح ومنوسبيرما. وإلي اليمين توجد شجرة تعد شاهدة علي المعركة المرعبة والتي درات رحاها بين بدو الترابين (74) من غزة وبدو الزوارقه (75) من العريش منذ خمسة عشر عامًا (76).

وكلما تقدمنا كلما تحسنت طبيعة الأرض، كما لاحظنا أيضًا وجود الكثير من الأماكن التي احتوت علي حقول زراعية. علاوة علي ذلك حاول

---

(74) بدو الترابين : يقال أصلهم أنهم من جد يقال له نجم جاء إلي سيناء مع رجل يدعي الوحيدي من ذرية الحسن أخي الحسين فنزلا ضيفين علي شيخ كبير من بني واصل في طور سيناء، وكان نجم فارسًا مقدامًا قبيح المنظر أسمر الوجه، وكان الترابين مشهورون بالبسالة وقبح الصورة.ويقال أن جد الترابين هو ابن الشيخ عطية المدفون في الوادي المنسوب إليه عند عين جذيع، والترابين يزورون قبره كل سنه بعد الربيع ويذبحون له الذبائح، ومن أشهر فروع بدو الترابين الأتي: الحرارة، والشنوب، والحسابلة، والشبيتات. ومن أشهر مراكزهم الجورة، والبرث، والبواطي، والمقضبة، والعمر، وأم قطف، والروافعة، وجبل المغارة، والجفجافة، وجبل الراحة. وفريقًا من بدو الترابين سكن شرق بلاد الطور، ولكن معظم الترابين في بلاد غزة ومنهم طائفة في مديرية الجيزة بمصر. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص100.

(75) الزوارقة (الاسم الصحيح السواركة): يلقبون بأولاد الظروة والظروة عندهم هي المرأة التي خالط الشيب سواد شعرها. ونسبتهم للظروة فقد قيل فيه أن رجلين من ذرية عكاشة الصحابي وهمت نصير ومنصور هاجرا من بلادهما ونزلا ضيفين علي رجل من عرب بلي في وادي الليف وكان نصير متزوجا من عرب قبيلته وأخوه منصور غازيا فرأي عند مضيفه بنتا ظروة فتزوجها وجاء الاخوان بامرأتيها إلي بلاد العريش فكان من نصير بدنة العردات. ومن منصور بدنات القبيلة. وتعد قبيلة السواركة أكبر قبائل سيناء عددًا ومن فروعها: العردات، والدهيمات، والمحافيظ، والفلافلة، والخناصرة. نعوم شقير: المرجع نفسه، ص121.

(76) لم نجد أيه معارك في تلك الفترة وخصوصًا في عام 1883 وذلك علي حسب ما أورده الرحالة، ولكن بالبحث وجدنا أنه من أكثر المعارك المعروفة بين قبيلتي الترابين والزوارقة كانت عام 1856م وعرفت باسم واقعة المكسر. نعوم شقير: المرجع نفسه، ص 583: 585.

البعض القيام بتهيئة الطريق وتحسينه من خلال إنشاء القنوات المائيــة علـــي جانبي الطريق. وما زلنا مستمرين في السير نقتفي أثر محطات البريد، حتـــي وصلنا بعد مسافة إلي أرضٍ مرتفعة، تمكنا من خلالها رؤية غالبيـــة الــوادي بصورة واضحة، حيث كان مغطي بالشجيرات المذكوره أعلاه. وعلي مســـافة من يمين الوادي تمكنا من رؤية مشهد النخيل وقبة الشيخ **الزويد (زويد)** علي طول حدود الصحراء المحيطة.

وعند أسفل التل المزروع وإلي حيث اليسار توجد ملاحة مملوءة بميـــاه الأمطار يتاخمها من الجانب الآخر بعض التلال الرملية، وفي منتصفها ثـــلاث مجموعات من النخيل. وكانت انعزالية المشهد قد جعلت كامل المنظر ذا تأثير فائق. عند ذلك الحد كان لزامٌ علينا أن نعبر ذلك التل. وعلي الجانب الشـــرقي كانت الملّاحة ضحلة وتنتهي بأراضى المستنقعات المزروعة بنباتات الســـمار، وفيما وراءها يمتد السهل إلي الصحراء.

انتعشت خيولنا بتذوق العشب الأخضر التي حرمت منه طويلا، ولهـــذا أسرعت الخيول بوحشية صوبه عبر هذه الملاحة، ونتيجة لذلك استغرقنا قرابة الساعة في إحكام السيطرة عليهم. وأخيرًا قمنا بتطويقهم فيما بيننا والمياه. وفوق رؤوسنا حلقت طيور الحداة فربما جذبتها بعض الجثث والجيف مـــن مســـافة ليست ببعيدة.

ومن الملاحة وصلنا سريعًا إلي **الشيخ زويد**، حيث وجدنا مـــا يجعلنـــا مسرورين فقد نصبت الخيام علي مرج أخضر زمردي. كمـــا اســـتقبلنا أحـــد الرجال المسئولين عن المراكز البريدية بكل ود وترحاب، وكذلك العديـــد مـــن البدو انجذبوا إلينا سواء دفعهم حب الفضول أو رغبة في البقشيش أو فـــي أي

شئ آخر، وجاء هؤلاء جميعًا وجلسوا حولنا في مجموعات. وبقينا لفترة قصيرة حتي تمكنت من رسم ذلك المشهد وتسجيله " انظر الصورة "، وبعدها عدنا إلي الخيام تملأنا السعادة بعد فترة طويلة من امتطاء الخيول.

8- من الشيخ زويد إلي خان يونس.

مع بزوغ الشمس، ابتسمت المروج الخضراء بمراعيها العشبية التـــي أنعشت حيوانات القافلة وأعطتهم القوة. وبينما كانت عملية إعداد الأغراض تتم؛ ذهبت لإلقاء نظرة الوادع علي منطقة **الشيخ زويد**، وكان أول ما قمت بـــه أن قصدت ذلك المنزل المبني من الطين والقش والمشابه لما عاينته في **العـــريش** من قبل حيث يقطنه أولئك الرجال المسئولين عن حفظ وحماية محطات البريـــد وكذلك رسائلها، وملحق به فناء صغير تربي فيه بعض الطيور مثل الـــدجاج، والديوك الرومي، والحمام حتي البط.

وعلي مقربة من ذلك يوجد منزل آخر مشابه يتوافر به الزيت وكافـــة السلع التجارية الأخري المجلوبة من غزة بغرض بيعها وأن ينتفع منها ســـكان المنطقة من البدو الذين يعودون في نسبهم إلي بدو **الزوارقـــه**. وخلـــف تلـــك المنازل توجد أعداد من أشجار النخيل الهزيلة، وكذلك مكانًا للدفن علي مســـافة منها حيث يحتوي علي مقابر قليلة إلي جانب أعداد هائلة من نباتـــات الصـــبر المزروعة بينها.

وفي المنتصف تستقر قبة **الشيخ زويد** ([77])، والمبنية مـــن الحجـــر المربع مع نقش بالعربية يوجد علي بابها. وفي داخل القبة نفسها توجد مقبـــرة

([77]) قبة الشيخ زويد: توجد علي شمال بلدة الشيخ زويد، وهي جبانة يدّعي السواركة أنهُ من أجدادهم ولكن سائر القبائل تنكر عليهم هذه الدعوي ويقولون أنه من الصحابة. وعلي باب القبة حجر من الرخام عليه كتابة بالعربية هذه نصها " بسم الله الرحمن الرحيم أنشـــأ هذه القبة المباركة ان شاء الله تعالي أمير اللوا الأمير محمد بك باش الخزين الواقف عليه حضرة علي أحمد أغا وذلك في شهر صفر سنة 1063هـــ / 5 يناير سنة 1653م. وفـــي هذه الجبانة يوجد قبر زايد ومزيد وأربعة قبور أخري قديمة قيل إنها قبور اخـــوة الشـــيخ زويد. وللقبة شيخ يحافظ عليها وينيرها كل ليلة جمعة. و يزور القبة كـــل عـــام عـــابروا السبيل والسواركة وغيرهم من بدو الجزيرة بعد الحصاد فيقيمـــون الافـــراح ثلاثـــة أيـــام

مغطاه بالقماش الأخضر والممتد فوق ذلك الإطار الخشبي. أما المياه فيتم جلبها من التلال الرملية الموجودة إلي ناحية الغرب فيما وراء تلك المنازل، وبالرغم من أنها ليست مالحة إلا أنها تتمتع بمذاق طيب. وفي الجوار لاحظت البدو يذهبون إلي هناك مع حميرهم لسقايتهم في جرار غزة السوداء. وربما كان كل من الرجال والأطفال يسلكون ذلك الطريق باستمرار علي طول الدرب الرملي. والعديد من هؤلاء الأطفال كانت لهم ملامح رقيقة وعيون لامعة، ولكن ملامح الحزن والكآبة كانت خاصة بأطفال البدو. وفي أجزاء عدة من المدينة المحيطة **بالشيخ زويد** تناثرت أطلال وأكوام الحجارة.

وفي طريق العودة حيث الخيام، وجدت أنه قد انتهت عملية حزمها، وبعد أن صافحنا رجل البريد واصلنا الرحلة في الحال. فقد عبرنا أولًا المروج الخضراء المحفوفة جزئيًا بالأشجار، وكذلك اجتزنا التلال الرملية ثم نزلنا إلي منحدر عشبي يدعي لزجه حيث قمنا بمعاينة ذلك السهل الممتد إلي جانب التلال الرملية التي تبدو في طبيعة خضراء ناصعة مثل الجزر في البحر " انظر الصورة ".

وإلي اليمين توجد اثنتان من أشجار السدر الضخمة تعرف بسجر الأمير (شجرة الأمير) أو مجرنت. ويوجد في ذلك السهل المتموج قليلًا العديد من أزهار النرجس البري، والسوسن الزرقاء، ويناوب تلك المروج الجميلة حقول الشعير، حيث توجد أعداد هائلة من الطيور مثل اللقلق، والبلابل الكبيرة، وطيور السلوي التي يمكن رؤيتها باستمرار. ومن ارتفاع طفيف تمكنا من رؤية ذلك الطريق السهلي المنبسط أسفلنا. وعلي مسافة شاهدنا ثلاثة من خيام البدو،

ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويتسابقون علي الخيل والهجن. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 173.

وكذلك بعض الأبقار التي ترعي في تلك المروج الغنية. عقب ذلك اجتزنا الطريق المؤدي إلي **عرفه** والذي يبلغ ميلين، حيث وجدنا المياه العذبة في وسط الرمال ([78]).

وفي تلك المنطقة صادفنا أجزاء من أعمدة جرانيتية رمادية اللون مازالت قائمة في الطريق والحقول والرمال، كما وجدنا بعضها مدفونا نصفها في الأرض. وعلي إحدي الجوانب توجد شجرة سدر " انظر الصورة "، وتوجد شجرة أخري إلي اليمين في غور الوادي. وتلك الأعمدة ([79]) هي أطلال وبقايا معبد **رافيا** القديم، والذي كان ذا أهمية في عيون العرب، والذين كانوا يطلقون عليه **رفح** ([80])، حيث يميزونه كحدًا فاصل بين **مصر** و**بلاد الشام**.

وبالقرب من تلك الأعمدة تناولنا وجبة الغداء حيث كنا داخل **الأرض المقدسة**. وبعد فترة قصيرة من الراحة واصلنا الرحلة تاركين الوادي الأخضر

([78]) لعل تلك المياه العذبة هي " بئر رفيح: هي بئر احتفرها الرميلات في وسط الكثبان المشار إليها علي نحو ميلين إلي الجنوب الغربي من بئر رفح. وقد دخلت في حد مصر ورممها محافظ سيناء سنة 1907م. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، ص 177.

([79]) هما عامودا الحدود والسدرة: فعلي نحو 360 مترًا إلي الجنوب الغربي من بئر رفح سدرة كبيرة كان عن جانبيها عمودان من الجرانيت الأسمر عُرفا بعمودي الحدود طول كل منهما سبع أقدام ومحيطه نحو ثلاث أقدام الواحد إلي جهة الشام والآخر إلي جهة مصر. وقد كونا مع أصل السدرة مثلثًا متساوي الأضلاع طول كل ضلع منها نحو خمسة أمتار. ولما زار سمو الخديو الحالي رفح سنة 1898م نقش تاريخ زيارته علي العمود الذي إلي جهة مصر. نعوم شقير: المرجع السابق، ص177، 178؛ أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص 145.

([80]) منزل في طريق مصر بعد الداروم، بينه وبين عسقلان يومان، وهو أول الرمل، ومدينة رفح الحالية علي أنقاض مدنية رفح القديمة التي تبعد 28 ميلًا عن مدينة العريش وخمسة أميال عن خان يونس، و18 ميلًا عن غزة. وهي مدينة رافيا التي ذكرها المؤرخ يوسيفوس أنها أول محطة سورية استراح فيها تيتوس في طريقه لمحاصرة القدس. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص623؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص54، 55؛ نعوم شقير: المرجع نفسه ، ص176؛ أحمد رمضان أحمد: المرجع نفسه.

المنحدر علي يسارنا مجتازين تلك التلال الرملية إلي حيث الأراضي العشبية المتموجة قليلًا، وإلي الخلف رأينا ناحية بنو سهيله ([81]) والتي تستقر علي القمة المستوية للتل، وبها ترعي أعداد هائلة من الأبقار، وتحلق في الهواء أسراب طيور الحداة، والتي كسرت من حدة تلك الطبيعة المملة.

فجأة تغير ذلك المشهد كلية؛ فقد ولجنا **أرض الميعاد** حيث الأسوار الطينية، والنباتات الشوكية، والتين الشوكي، والحقول المسيجة حيث أشجار اللوز، والمشمش، والتين، والجمير، والخروب، والسدر تلك المناظر التي كانت تتباري لترسم السعادة في عيون الرحالة في تلك الصحراء القاحلة. ومررنا بالعديد من المنازل الصغيرة والمبنية من الطين، والقش، والأحجار، ولكن بحلول الساعة الثالثة وصلنا إلي خان يونس ([82]) حيث القلعة الرائعة والتي بدت وكأنها تدعونا للاقتراب، عندئذ قمنا بنصب الخيام في مواجهة تلك البلدة في ذلك الحقل المحاط بنباتات الصبار الشوكية.

([81]) بنو سهيلة: عرفت بهذا الأسم نسبة إلي قبيلة بني سهيل العربية التي نزلت في تلك المنطقة، وتلك القرية تقع ضمن قضاء غزة، وتقع القرية في الشرق من خان يونس وعلي بعد لايزيد عن الثلاثة كيلومترات منها، وأقيمت علي أكمة ترتفع 75م عن سطح البحر.
مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج1، ق2، دار الهدى، كفر قرع، 1411هـ / 1991م، ص 11، 295.

([82]) خان يونس: هو خان سعيد شيده الأمير يونس النوروزي (أحد أمراء الملك الناصر محمد) خارج مدينة غزة، وقد أقام ذلك الخان في عام 789هـ / 1387م. ومدينة خان يونس هي أول حكم بلاد مصر ولاسيما عام 1693م، وبها كانت تقيم جنود الغز والعسكر المصري، ويرجح أن تكون قد بنيت علي أنقاض مدينة قديمة تعرف باسم (جنيسس Jenysuus) . النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1406هـ / 1986م، ص169؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: نظم الحكم والادارة في عصر الأيوبيين والمماليك. المرأة في الحضارة العربية، المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، ط1، الموسسة العربية للدراسات والنشر، 1407هـ / 1987م، ص 370؛ مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج1، ق2، ص 135، 137.

في ذلك الوقت جاء حاكم المدينة **شاكر أفندي** [83]، والذي كانت عائلته ماتزال تسكن **الخليل (حبرون)** ([84])، والتي كان يسكنها هو سابقًا، حيث أبدي ترحابه بنا وعاملنا بود حيث أمر ثلاثة من الفرسان، وأربعة من الجنود المشاة بحراسة مخيمنا، حيث كانوا يتنابون الحراسة كل ساعتان. ولاحظنا بين هؤلاء اثنين من الزنوج، ولكن الغالبية العظمي كانوا نحيلي الجسد إلي جانب العرب قوي البنية، وبعضًا من هؤلاء كانوا يتميزون بقدر ملحوظ من الوسامة.

بعدئذ قادنا الحاكم شخصيًا نحو القلعة، ولكن قبل أن أصف ذلك؛ يجب أن أعطي القارئ رواية عامة عن خان يونس.

---

[83] لم نصل لأية معلومات عن ذلك الحاكم.

([84]) الخليل: مدينة تقع في تجاه الجنوب علي مسافة من البحر الميت، وعلي مسافة أربعة أميال من القدس أي علي مسافة يوم واحد سيرًا. ويقال أن آدم عليه السلام أقام بها بعد خروجه من الجنة وبها دفن بعد وفاته، وكانت تعرف تلك المدينة قديما باسم " قرية أربعة " أي " مدينة أربعة " لان أربعة من الأباء قد دفنوا فيها في كهف مزدوج هم آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهما السلام ومعهم زوجاتهم حواء وسارة ورفقه وليا. وفي الخليل يوجد المكان الذي قتل فيه قابيل هابيل، وفيه مكان تستخرج منه تربة حمراء تصدر إلي مصر بأغلي الأسعار. ; Theoderich , Description Of The Holy Places p.55 Anonymous Pilgrim II (12 th century), Trans.by , Stewart ,Aubery in.P.P.T.S., vol.VI, London ,1894, p. 11; Anonymous Pilgrim IV Not earlier than 12 th century), Trans.by , Stewart ,Aubery ,in.P.P.T.S.,vol.VI, London ,1894, p. 20 ; Anonymous Pilgrim (Pseudo DeDo) , (12 th Century) , Trans.by , Stewart ,Aubery in.P.P.T.S., vol.VI, London ,1894 , p.p 37, 60 ; Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem p.22 ; يعقوب القيتري: تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان،1419هـ / 1998م، ص75؛ يوحنا فورزبورغ: وصف الأرض المقدسة، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن،1418هـ / 1997م، ص97.

9- خان يونس.

تعد **خان يونس** من أبعد المناطق الشامية في إتجاه **مصر**، ومن جهة أخري هي آخر محطة ومنطقة تحت السيادة المباشرة للباب العالي ([85]) مثل **العريش** الخاضعة لسلطة **الخديو**. وبين هاتين المدينتين يمتد طريق صحراوي تستقر به أعمدة منطقة رفح كإشارة للحد الفاصل المفترض بين المدينتين. وبالرغم من أن البدو يتجولون في تلك المنطقة القاحلة إلا أنهم قليلًا ما يهتمون بما يحدث سواء في **العريش** أو في **بلاد الشام**.

وكما في **العريش** فإن القلعة تمثل حصنًا لذلك المكان، فهي تتوسط قلب المنطقة حيث تجتمع وتتشابك معها المباني الأخري حولها مثل العناقيد.

و**خان يونس** قرية ساحرة، ولكن في الوقت الحالي لايتجاوز عدد سكانها ألف مواطن. وفيما مضي كانت أعدادهم ضخمة فقد وصلت إلي ألف

([85]) الباب العالي: كانت المسائل الكبري للدولة العثمانية تبحث في القصر السلطاني، وفي ذات الوقت كان الصدر الأعظم يسكن منزلًا صغيرًا أو متوسطًا خارج القصر. ورأي السلطان محمد الرابع أن يخصص مبني شاسعًا فخمًا يقيم الصدر الأعظم وأسرته وخدمه وحرسه في أحد أجنحته، وتخصص باقي الأجنحة لاجتماعات كبار موظفي الدولة يقومون فيها بتصريف مهامهم. وتم إنشاء هذا المبني في سنة 1654م فكان مسكنا رسميًا للصدر الأعظم، ومقرًا لديوان عام تبحث فيه مسائل الدولة باستثناء المسائل المالية التي كان لها مبني خاص يسمي (دفتر دار قابسيي) أي بوابة الدفتردار، وكانت تضم جميع أقسام الإدارة المالية. وكان درويش محمد باشا الصدر الأعظم للسلطان محمد الرابع أول من سكن من العظام. وغدا اسم المبني (باشي قابيسي) أي بوابة الباشا، و (باب عالي) أي بوابة عليا، ثم اكتسب اسم الشهرة في التاريخ وهو الباب العالي La Porte Sublime، ويري بعض المؤرخين أن إنشاء الباب العالي كان دليل علي أنه أصبح مركز الثقل السياسي في الدولة، لأنه قبل إنشاء هذا الصرح كانت تبحث كل الشئون العامة للدولة في القصر السلطاني، فغدا الباب العالي هو مناط السلطة والمرجع الأعلي في جميع شئون الدولة، الداخلية والخارجية، المدنية والعسكرية. عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1400هـ / 1980م، ص 371، 372.

وثمانمائة نسمة والسبب في ذلك أن أعدادهم كـــان تتنـــاقص تـــدريجيًا نتيجـــة للغارات المستمرة لبدو الترابين الذين قاموا منذ ثلاث سنوات بإضرام النيــــران في محاصيل الفقراء المعدمين. وكان كافة البدو الذين أزعجوا السكان من بدو الترابين. وقد امتلك هؤلاء خيولًا وبغالًا كانت في بعض منها حيوانـــات جيـــدة وقادرة علي الاحتمال. ومنذ أن زودت **خان يـــونس** بحامية قوية، وكانت قادرة علي حمايتها فإن شئونها كانت قد تحسنت نتيجة لذلك. وتتألف تلك الحامية من خمسين جنديًا من المشاة وخمسين آخرين من الخيالة، وجميعهما كانوا من أبناء تلك المنطقة الصحراوية، وكانوا يبدون في صورة رائعة وهم معممون بالكوفية علي رؤوسم إلي جانب زيهم العربي المميز.

أما عن هيئتهم فكانوا رجالًا أقوياء البنية، وسلوكهم مميز للغاية. وكذلك القرويين كانوا يرتدون نفس الزي المعتاد بجنوب **بلاد الشام**، وأقويـــاء البنيـــة مثلهم. كما لاحظنا بعض الصبية لديهم حلقتان متدليتان من جـــانبي رؤوســـهم وذلك بطريقة غير المعهودة والمألوفة بين البدو. وبالمدينة توجد مدرستان لتعليم الصغار. وانطلاقًا من حقيقة مؤداها أن كل فرد يمكنه القراءة، لذا توجب عليهم أن يرتادوا تلك المدارس.

أما عن هيئة المدينة من الداخل فتبدو فقيرة، وشوارعها قذرة ومشوهة بأعداد هائلة من صهاريج تخرين مياه المطر. ومنازلها التي يحيطهـــا النخيـــل المرتفع؛ مبنية من الطين والحجر، والأخير من النوع الردئ والمتكـــون مـــن الصدف المتفتت ومن الكتل الطفلية المترسبة من ساحل البحر المجاور، ويـــتم جلب أفضل تلك المواد من الأطلال المختلفة، وأحيانًا من مناطق تبعد مسافة من عشرة إلي اثني عشرة ساعة.

أما عن منازلها فكانت ذات أسطح مستوية ، وذات مداخل عديدة مزودة بشبابيك خشبية معلق عليها قطعة من العظام حماية لهم من تأثير العين الشريرة. وكي تبقي أيضًا في مأمن من غارات البدو؛ كما قام سكانها بتحصينها بعدد من الكُوّات، إلي جانب ذلك زودت المنازل بعدد من المزاغل المستديرة في صفوف منتظمة بديعة التصميم لتوفير التهوية. وكما قلت سابقًا إن الملمح الأساسي **لخان يونس** تمثل في القلعة " انظر الصورة " المحاذية لمكان أو ميدان فسيح، وإلي اليسار منها نجد أطلال سياج قديم لاتزال ظاهرة.

علي الجانب الأخر من المدخل يوجد رواق مع بقايا لقاعدة عمود. وإلي اليسار من ذلك يوجد منزل متواضع للحاكم حيث كان يقطن هنا في هدوء مع أحد الخدم. وتلك القلعة التي يبلغ عمرها ثمانمائة وخمسون عامًا عبارة عن مربع مزود بالأبراج الدائرية ذات أقبية بيضاوية الشكل في زواياه، إلي جانب ثلاث مزاغل في الحائط. أما البرجان الآخران في المقدمة فقد ظلا باقيين دونما تغيير، في حين كان الحائط الخلفي قد دمر، أما الحائط الآخر والمحيط بالميدان تاخمته بعض المنازل البائسة نصفها مدمر، وربما كان الجنود يستخدمونها كأماكن للسكن.

وفي منتصف الجانب الأمامي توجد بوابة مزودة بكُوّات داخل قوس مستدق، وفوق ذلك يوجد إفريز (نسيج صوفي) مكلل بأزهار الزنبق " السوسن ". وعلي جانبي البوابة وكذلك علي الحائط المقابل العريض توجد أسوار هرمية الشكل بأطراف مدببة. وداخل ذلك الممر المقنطر يوجد نقش **للسلطان برغوت** burgut ([86]) سلطان **القاهرة**. وعلي الجانب الآخر توجد

([86]) السلطان برغوت هو السلطان برقوق: أصله جركسيا من طائفة يقال لها كسا، وقع في العبودية عند شخص في مدينة قرم، وأقام مدة عند شخص حمامي، ثم اشتراه الخواجا

حلية علي شكل أسد، وكذلك نحت خشن في شكل بارز. وبالملاحظة نجــد أن تلك النقوش العربية شغلت الحوائط سواء علي جوانب البوابة أو فـــي مـــدخلها نفسه. ولم ينظر إلي ما تحتاجه لكي تبقي داخل صفوف حجرية.

وإلي ناحية اليمين من البوابة وداخل القلعة ترتقي مئذنة مسجد مثمنــة الأضلاع تبدو في حلة جديدة وسط هذا الخراب، وكذلك المنازل المتهدمة مثلها مثل بقية منازل القرية. ومن هنا يمكن ملاحظة أربعة طرق متفرعة من **خـــان يونس** وهي: طريق **العريش**، والطريق المؤدي إلي طريق **السويس** **العقبـــة** ([87])، وطريق **بنو سهيلة**، وفي الأخير طريق **غزة**. وعند مداخل تلك الطـــرق توجد مجموعة من منازل القرية.

عثمان التاجر وجلبه الي الديار المصرية، فاشتراه منه الأمير الكبير يلبغا العمري الخاصكي في سنه 764هــ فأعتقه، وقد كان هذا الرجل في بداية الأمر أمير آخور، ثم أتابك العساكر الاسلامية وتولي هذا الرجل حكم مصر في سنة 792هــ، وتوفي عمــره ســتين عامـــا، وسمي برقوق لنتوء في عينيه كالبرقوق واسمه الأصلي ((التـــون بوغـــا = الطنبغـــا)). وللمزيد انظر: العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (784 – 801 هــــ / 1382 – 1398م)، تحقيق: إيمان عمر شكري، ضمن كتاب السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، سلسلة صفحات من تاريخ مصر، عدد 55، ط ا، مكتبـــة مـــدبولي، القـــاهرة، 1423هــ / 2002م، ص 494، 495. مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلســـطين، ج1، ق2، ص 136، هــ 2.

([87]) العقبة: مدينة حديثة تقوم علي أنقاض مدينة أيلة التي كانت مـــن مـــدن الآدوميـــين الرئيسية ولعلهم أول من اتخذها ميناء . وفي القرن السادس عشر الميلادي كانت تعــرف باسم عقبة أيلة وهذا الاسم عرف به الجبل ذو العقبة الشهيرة التي تقع في غربها ثم أهــل اسم أيلة وبقيت المدينة تسمي العقبة وأما عقبة الجبل نفسها فقد دعيت بنقب العقبة.وكانت العقبة ملتقي الحجاج المصريين والمغاربة وحجاج جنوبي فلسطين، وفي الحولية الرسمية العائدة لسنة 1323هــ الموافقة لسنة 1904م ذكرت العقبة بأنها قضاء يتبـــع متصـــرفية المدينة المنورة. أما العقبة اليوم فتقع علي خط عرض 31: 29 شـــمالي خـــط الاســـتواء وعلي خط طول 35 شرقي جرينتش وهي علي فم وادي العربه العظيم وعلي رأس الخليج المسمي باسمها. وتبعد ميلين للشرق من الحدود الفلسطينية وعلي مسافة كيلومترين مـــن

وعندما جالت أعيننا في الأفق شاهدنا التلال الرملية الصفراء والمحاطة بالزروع تجاه البحر علي خلاف الأشجار الخضراء الواضحة، وعلي الجانب الأخر يمتد ذلك السهل الأخضر تجاه **غزة**، والتي ربما يمكن رؤيتها علي مسافة. وتحيط بالقرية من جانب **غزة** أعداد هائلة من شجيرات التين الشوكي، والتي كانت من الملامح المميزة لهذه الطبيعة.

والأن هبطنا لنكمل معاينة تلك القلعة. ففي الداخل يوجد مسجد بقبة بيضاوية الشكل أغلبها متهدم، ولكن الاعتقاد الأصوب أن المنبر الرخامي البسيط كان مازال بحالة جيدة. ووسط هذا الخراب كانت هناك أشياء تستحق الذكر؛ فقد كان هناك منزل في حالة أكثر سوءً، وهو جزء من ذلك المسجد ولكنه سقط منذ فترة قصيرة مضت. وعلي الرغم من ذلك فإن الناس غافلون تمامًا عن أن يقطنوا ذلك المكان.

ماهي إلا خطوات تفصلنا عن النخلة العالية والتي سقط طلحها جراء عاصفة عنيفة. ومن العجيب أن نرى أن أعمال الإنسان والطبيعة قد تلاقيا معًا ليحدثا هذا الخراب المنتشر، ولم يفكر السكان في قيمة ذلك المكان، فلم يقوموا أو يبادرو علي الأقل بإصلاح ماتلف منه، أو القيام بمحاولة بسيطة لحماية أنفسهم من ذلك الخطر المحدق بهم. وقد كان ذلك طبيعيًا فالخمول وعدم الاكتراث كان في مقدمة الصفات المميزة للشعوب الشرقية، ودليل مؤكد علي الاضمحلال التدريجي لعقيدتهم وجنسهم (88).

حدود المملكة العربية السعودية . مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج1، ق2، ص 492، 498، 499، 501.

(88) هناك من فسر طبيعة الخمول وعدم الاكتراث عند الشعوب الشرقية بأنها نتيجة لتغير المناخ و خصوبة التربة. أما أنها دليل على الاضمحلال التدريجي للعقيدة والجنس

وفي القرية المقابلة للقلعة يوجد بها مسجد آخر ولكن بدون مئذنة، ولكن من هيئته الخارجية بالكاد يمكن التعرف عليه كجامع.وبالقرب من أحد الأبراج الخارجية المتهدمة المحيطة بالقلعة، وعند زاوية أحد المنازل في الطريق إلي **غزة** تستقر بعض قواعد الأعمدة والتي استخدمت كمقاعد للعمدة وشيخ البلد. ويتألف سوق أو بزار **خان يونس** من اثنين من الشوارع تمتد خلالها المحال التركية الرثه إلي جانب بعض المصاطب من الطين والصلصال والتي استخدمت كمقاعد للجلوس. وأبوابها عبارة عن جناحين ولكنهم ليست مغلقة بشكل كامل. أما أسطحها فكانت مصنوعة من شجيرات الشيح.

أما بالنسبة لمعروضات تلك المحال من البضائع؛ فغالبيتها وارد من **غزة**، **ويافا**، ولكن الطواقي المصنوعة من شعر الإبل أو من القطن وبالمثل العباءات الشامية السوداء والبيضاء فإنها كانت تحاك بأيدي أهل القري أنفسهم. وعند طرف القرية وبالقرب من السوق وعلي الطريق المؤدي **للعريش** يوجد بئر ثاني عمومي علي عمق 18 باع ([89])، وهو مبني بالكامل من البقايا الرخامية القديمة.

فيمكن تفسير ذلك بأن المؤرخين والرحالة الأوربيون جاءوا من بلادهم حاملين لفكرة عنصرية تجاه ديانات وأجناس الشعوب الشرقية وتلك الفكرة مؤداها التفوق الدينى والعرقى للأوربيين على ماعداهم. ومعنى أن يذكر ليدونج عبارة " دليل مؤكد على الاضمحلال التدريجى لعقيدتهم وجنسهم " فإنها انطلاقا من الفكرة السابقة تعبر عن رغبته في حدوث ذلك (المترجم).

([89]) باع: يدعوه العرب بالقامة، ويساوي من حيث الأساس 4 أذرع شرعية (الذراع الشرعية كانت ذراع اليد المصرية وكان طولها 49.875سم)، أي 199.5سم أو حوالي 2 متر، فيبلغ بذلك جزء من ألف جزء في الميل، وفي مصر يساوي الباع 4 أذرع نجّاريّة = 3 متر. فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الالمانية: كامل العسلي، مراجعة: عبد العزيز الدوري، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1390هـ / 1970م، ص82، 87.

وعلي الجانب يوجد صهريج وأحواض للماشية مبنية من نفس المواد، وهي تنسب إلي فترات أكثر حداثة مقارنة بالموجود. علاوة علي ذلك يوجد بالخلف غور " تجويف " بسيط مع مياه راكدة، إضافة إلي أعداد قليلة من أشجار النخيل. وفي طريق **العقبة** و**السويس** يوجد منطقة للدفن حيث توجد مقابر بيضاء علي هيئة الدرج، وفي الطرف المقابل للقرية وحيث يتسع الطريق إلي المدينة المحيطة أتينا إلي أحد الغور مع سدوده ثم سلكنا بعدئذ الطريق المؤدي إلي **بني سهيلة**.

وإلي جوار **بني سهيلة** توجد العديد من الحدائق التي تعد دليلًا صارخًا علي خصوبة التربة هناك، ومع ذلك ولسوء الحظ ليس هناك أي وجود لأي آبار مياه بينها. ويعد اللوز من المنتجات الرئيسية لهذة الحدائق، في حين كانت الأرض المرتفعة المحيطة بها مغطاه بأفرع نباتات السدر الشوكية. وبالقرب من المدينة لاحظنا وجود العديد من أشجار السدر، وبالمثل أشجار الطرفاء " الأثل "، والجميز. وكانت من أكثر الأنواع النباتية المنتشرة هناك؛ نباتات الصبار الشوكية، والتي كانت تنمو في المناطق الخصبة حول بعض الحدائق.

وبالنسبة لسكان **خان يونس** فلم تعتمد معيشتهم علي زراعة الأرض، ولكنها كانت مرتبطة بتربية الماشية؛ فقد لاحظنا أعدادًا هائلة من الأبقار في الجوار. كذلك وجدت الجمال أيضًا بأعداد قليلة إلي جانب أعداد هائلة من الخيول. كما لاحظت أربعة من كلاب الصيد المعروفة بالسلوقي ([90]) من

(90) السلوقى: هى كلاب للصيد، وهذا الأسم يشير إلى الأمجاد الغابرة لسلوقيا أو الأمبراطورية اليونانية فى بلاد الشام، وفى سلوق، وفى اليمن، وهى تلك الأراضى الغنية بالأسرار والقصص، ومن تلك المناطق نشأ هذا الأسم. ومن الصعب بمكان تحديد الموطن الأصلى للسلوقى فتظهر تلك الكلاب فى الآثار المصرية القديمة، كذلك كانت موجودة فى

السلالة الشامية. وكما هو معروف أنه ينسب إلي **ريتشارد قلب الأسد** ([91]) إدخال مثل هذه الكلاب إلي **الأرض المقدسة** ([92])، والتي كانت تسير إلي جانب الكلاب الضآلة والتى لم تكن نقية الدماء " السلالة "، حيث كانت ذات لاشيات بيضاء وصفراء، وشعور خشنة، وخطوط زرقاء، ومزينة بشئ يشبه الصدف علي أفخاذها. وكانت تلك الكلاب يتم استخدامها في اصطياد الغزلان وهي صغيرة العمر. وقد عرضت علينا واحدة من تلك الغزلان مقابل ستة شالينات Shillings ([93])، وكانت أليفة جدًا؛ حيث قمنا بحملها لمسافة، ولكنها

بلاد فارس وتعرف كـ " ساجى تازى " sag-I Tazi أى الكلب العربى، ويقال أن تلك الكلاب جاءت لفارس من بلاد الشام. وهناك أنواع مختلفة من كلاب السلوقى، وكل نوع منها يعرف بإسم المناطق الموجودة بها منها السلوقى الشامى والذى يتميز بوجود شعر حرير على ذنه، وشعر طويل خفيف على ذيله. وهناك السلوقى اليمنى والعمانى وهو ليس لديه الكثير من الشعر على أذنه أو ذيله. وهناك السلوقى النجدى الذى لديه شعر أقصر من الأنواع السابقة. Leighton , Robert , The Nw Book Of The Dogs , Cassell Company Limited , 1907 , p.p.474 , 475.

([91]) ريتشارد قلب الأسد: هو ريتشارد بلانتجينت، حكم من عام 1189م وحتي عام 1199م كريتشارد الأول ملك انجلترا، وعرف بلقب قلب الاسد. ولد ريتشارد في 8 سبتمبر عام 1157م في اكسفورد، وهو الابن الثاني لهنري الثاني ملك انجلترا، وزوجته هي اليانور اكويتين. للمزيد انظر Philip Henderson , Richard Coeur de lion , New York , 1959 , p. 28.

(92) أخطئ المؤلف فى تلك النقطة وذلك لأن الصليبيين نقلوا تلك الكلاب إلى أوربا فى فترة الحروب الصليبية وخاصة فى القرن الثانى عشر الميلادى. وكانوا قد نقلوها كدليل على رحلة الحج التى قاموا بها. والبعض منهم كانوا يقتنوها لأنها كانت موضة منتشرة فى بلاد الشام. ويقال أن تلك الكلاب فى تلك الفترة كان يتم اعطاؤها للوجهاء الأوربيين كهدايا وبالتالى وجدت طريقها إلى أوربا، وهذا يثبت أنها سابقة فى بلاد الشام على مجئ ريتشارد. كذلك فإن تلك الكلاب كانت قد ظهرت فى لوحة الدوق هنرى التقى دوق سكونى يرتدى طوق مزين بإكليل من الصدف كإشارة على المسافر أو الحاج. Ibid , p.478 ; Hale , Rachael , Dogs , 101 Adorable Breads , Andrws Mcheel Publishing , p.30.

(93) شالينات: هى وحدة عملة مستخدمة فى المملكة المتحدة سابقًا، والكلمة مأخوذة من كلمة scilling وهو مصطلح حسبى يعود تاريخه إلى الفترات الأنجلوسكسونية حيث

ماتت منا خلال الطريق، وكما قلت أنها ربما ماتت عندما أطعمناها الخبز، وما يؤكد ذلك كلام أن **أبو نبوت** نفسه أخبرنا من قبل أن هذا الخبز غير صحي لمثل هذه الحيوانات. ولكن ربما كان من أكثر الأحتمالات لموتها هو أنها وضعت في سلة فوق ظهر الجمل.

و **بخان يونس** يوجد قليل من الكلاب الضالة، وإلي الجوار من ذلك كانت هناك أعداد من طيور الحداة، والصقور، والغربان، والتي استقرت بالمئات فوق أشجار السدر، والجميز، وربما يمكن ملاحظة بعضها تحلق أعلي القرية فلربما تبحث عن فريسة أو بعض الجيفه.

اعتبروها قيمة للشاه أو للبقرة. وهناك من يرجع تلك العملة إلى أصول توتانية. وفى عهد الملك هنرى السابع كان الشلن يساوى قيمة 12 بنس. " المترجم "

10- من خان يونس إلي غزة.

يمتد الطريق بين **خان يونس** و**غزة** لمسافة طويلة عبر مجموعة من حدائق شجيرات الصبار من نوع Opuntia، وبعض الجسور المغطاه بالشجيرات الشوكية. وإلي ناحية اليسار تمتد الحدائق حتي الرمال، وإلي ناحية اليمين وعلي مقربة من **بني سهيلة** تستقر قرية علي ذلك التل الممتد، ويبلغ عدد سكانها خمسمائة فرد. وفيما وراءها توجد قرية أخري تعرف **بعبسان**([94])، وكذلك العديد من الأراضي المزروعة في الجوار.

وعلي طول نطاق التلال المتسقة، وحيث تستقر **بنو سهيلة** التي ترتبط بالوادي علي الجانب البري؛ يوجد قبر **الشيخ محمد** ([95]) عند طرف إحدي الأشجار القديمة، وإلي جواره يوجد منزل صغير يستخدم كقبه، وإلي اليمين منه توجد خيام البدو، بأعداد هائلة هنا، فهم وحدهم الملاك لهذه المروج الغنية.

وبعد مسافة من السير عبر الرمال؛ وصلنا إلي إحدي محطات البريد، ثم تجاوزناها عبر المروج الخضراء حتي وصلنا إلي الرمال الجافة لإحدي الأنهار والمعروفة **بوادي سيلجا** والمحاطة من اليسار بالمنحدرات الأرضية وبالمروج الخضراء من ناحية اليمين. وعقب سقوط الأمطار الغزيرة يمتد مجري النهر من الجبال إلي البحر.

([94]) عبسان: قرية يعود اسمها إلي بني عبس بطن من قبيلة لخم التي سكنت هذه الديار في صدر الاسلام وقبله. وقيل لها (عبسان) لانها كانت تضم قريتين، وهذه القرية تقع في الشرق من بني سهيلة، وعلي بعد ثلاثة كيلومترات منها وترتفع 75مترًا عن سطح البحر وهي قسمان: عبسان الصغيرة، وعبسان الكبيرة . مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج1، ق2، ص11، 296، 297.

([95]) قبر الشيخ محمد: لعله هو قبر الشيخ محمد المغربي حيث يقع في حي الدرج وهو مسجد قديم في حارة الدرج، أنشئ في القرن التاسع وأقام فيه الولي الصالح الشيخ محمد المغربي واتخذه كزاوية له فاشتهر به ولما توفي دفن بمغارة كبيرة تحت إيوان وبني بساحته قبر إشارة له ومكتوب عليه تاريخ وفاته سنة 864هـ، وكان سقفه من جريد النخل ويعرف بمسجد السواد وتجدد في القرن الثالث عشر (المترجم).

وعلي اليسار وعلي مسافة نصف ساعة من الركــوب مــن الطريــق الرئيسي؛ توجد قرية دير الـبلح (والمحاطه بنخيل البلح) ([96])، وهي القرية الوحيدة التي تفصلنا عن **غزة**، وهي تقع في وادي علي ملّاحة؛ حيث يفصــلها عن البحر سهل منخفض، وكان كم أشجار النخيل كفيل بأن نتعرف عليها مــن بعيد، فقد كان حقًا منظر جدير بالتصوير . ويبلغ تعداد سكانها مائة فرد، وهي مكونة من قليل من المنازل المتهدمة بأسطح طينية مغطاة بالعشب. وبين تلــك المباني توجد أراضي مزروعة يحيطها سياج من الطوب اللبن.

هنا وهناك تنتشر بقايا الأعمدة القديمة، ويوجد برج متهــدم بمســتدق صاعد مزود بمزاغل... وبالمناسبة كان الجنود يسكنونه من قبل. وإلي شــمال تلك القرية توجد ملّاحة أخري محاطة بمجموعات رائعة من النخيل، ومحاطــة بالتلال الرملية من ناحية الساحل. ولم يكن ذلك ببعيد عن الطريــق المباشــر المؤدي إلي **غزة** من **دير البلح**. ولكن أرادنا مواصلة الطريق الرئيسي ومن ثم عبرنا التلال فيما وراء دير البلح والمغطاه بالمروج الخضراء، حيــث وجــدنا العديد من أزهار النرجس ونباتات الأشقيل. ومن قمتها بدت لنا روعــة هــذا المشهد؛ حيث مروج الوادي المنمقة، وحيث العديد من الأبقار مــن ســلالات جنوب **بلاد الشام** التي ترعي هنا، كما لاحظنا شجرة سدر عتيقة تدي **جيميتر**، وبالقرب منها توجد بعد الأطلال. وعلي الجانب الأخر حيث تفصــلنا الــتلال

([96]) دير البلح: هي الداروم قديمًا وهي بليدة بين غزة وخان يونس، وتقع علــي شــاطي البحر، والواقف بها يري البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، وسميت بدير الــبلح لكثرة نخيلها، وقد يقال في اسمها " الدارون " وينسب إليها. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج2، ص424، 432؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص508؛ عاتق بن غيث الــبلادي: معجم المعالم الجغرافية، ص 125؛ محمد بن محمد حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط1، دار القلم، دمشق، 1411هـ / 1991م ، ص 115.

الرملية عن تلك المروج الخضراء توجد مجموعة من الأشجار تعرف بإسم أم **مهران** Em Maharnes.

واصلنا السير مرة أخري عبر ذلك السهل حيث صادفتنا أعدادًا هائلةً من خيام بدو **الترابين** إلي جانب قطعان عديدة من الماشية. وهنا مكثنا وقتًا قصيرًا قمنا خلاله بتناول الإفطار علي المروج الخضراء في ذلك المكان الطلق، ثم انطلقنا مرة أخري تملأنا الرغبة والشوق في الوصول إلي **غزة**. وسريعًا وحال وصولنا ذلك الدرب الرملي الجاف لوداي **غزة**، تسلقنا بعض التلال المنخفضة المستقرة خلفه؛ وتمكنا من بعد من رؤية مآذن ونخيل **غزة**. فقد كان مشهد مفرحًا لنا في أخر خطوات من عمر تلك الرحلة.

تقع المدينة علي اليمين حيث يوجد **تل المنطار** ([97]) نسبة إلي اسم الشيخ المدفون هناك، وهو من الملامح الرئيسية لهذه الطبيعة. ثم تحولنا إلي جهة اليسار حيث الطريق السابق ذكرة والمؤدي من **دير البلح لغزة** فواصلنا السير عبره علي طول محطات البريد. بعد ذلك مررنا عبر الحقول والحدائق المسيجة بنباتات الصبار الشوكية، والمزروعة بنباتات اللوز، والتين، والزيتون، والجميز، وقليل من أشجار الطرفاء، حتي وصلنا أخيرًا إلي مبني الحجر الصحي لغزة وذلك بحلول الساعة الثانية والنصف.

هنا... كنا مضطرين لترك الجمالة تملأنا مشاعر الأسف، عندئذ أمسكت بيد **الشيخ دواد** المخلص الذي رافقنا طيلة تلك الرحلة من **القنطرة**.

([97]) تل المنطار: يقع شرق حي الشجاعية، ويشرف الموقع على مدينة غزة من جهتها الجنوبية الشرقية ويوجد في الموقع آثار وتكوينات معمارية قديمة، يقع على هذا التل مزار الشيخ علي المنطار، وعلى الأرجح أن هذا الاسم "المنطار" مشتق من عملية النطرة التي كان يقوم بها المجاهدين الذين يرقبون الطريق تحسباً لقدوم الغزاة (المترجم).

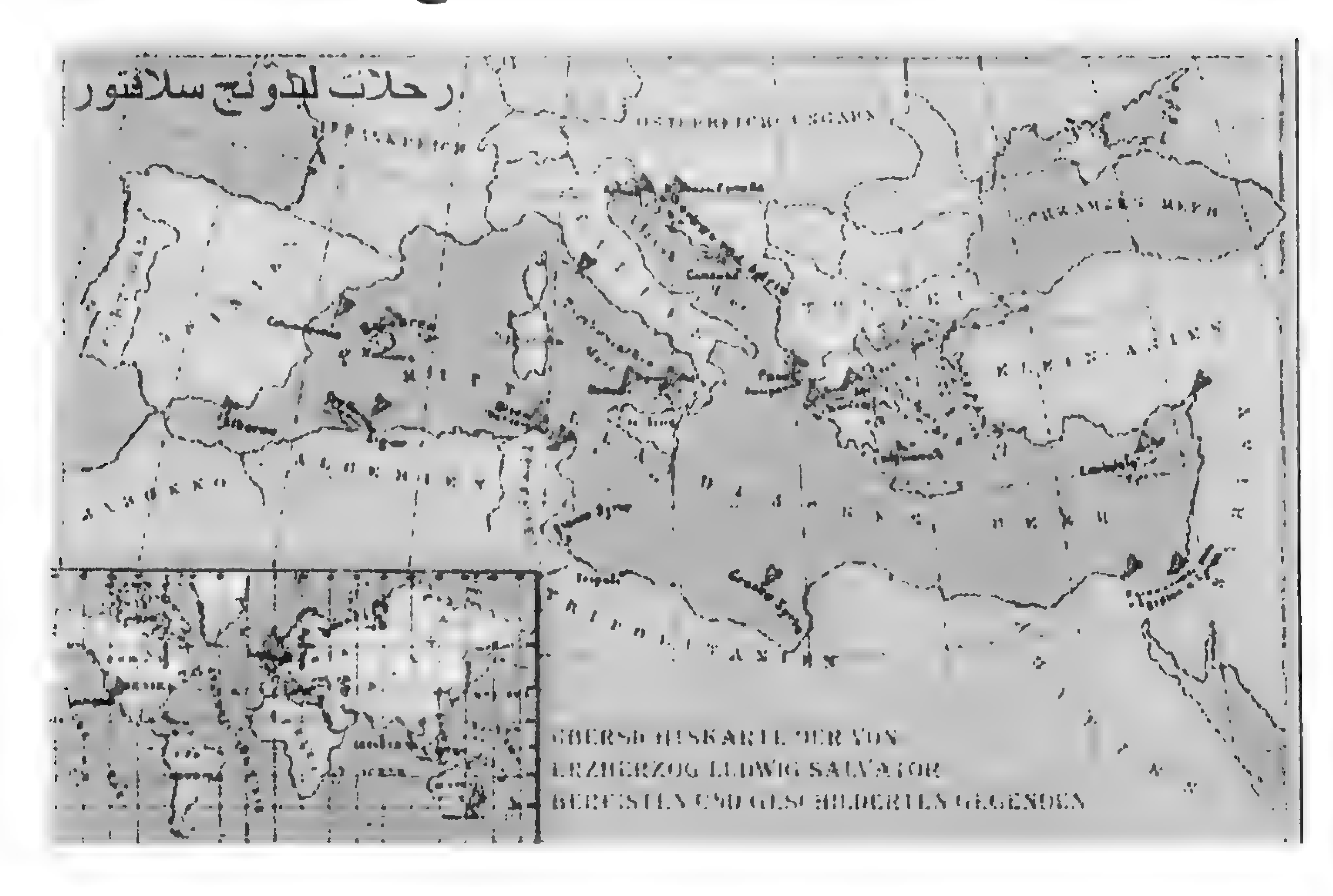
وهنا أيضًا تخلصنا من كافة الأمتعة الغير ضرورية؛ حيث كنـا فـي **الأرض المقدسة**؛ أرض الوفرة والثروة. وبعد أيام قلائل من الراحة في **غزة** انطلقنا من جديد بخيولنا وبغالنا لنقوم بالحج إلي **القدس** للمرة الثالثة.

النهاية

الملاحـــــــــــــق.

ملحـــــــق (1)

رحلات الأرشيدوق ليدونج سلافتور



ملحـــــق (2)

رســـــــــــوم الأرشيدوق ليدونج سلافتور



١- جبل المغارة



2- جبل أبو لهصب



١- العوجة



٥- رمان


٦ - الشيخ المزين فى قطيا


٧ - ملاحة الحكومة



8- جبل المغارة (صورة من البرج)



9- قبة المغارة


١٥- جبل الحلال


١١ - وادى ابو شيحه



12 - العريش



13 - سوق العريش



١٤ - العريش (منظر من الجانب الشمالي)



١٥ - قبر النبي ياسر



16- الخزونة



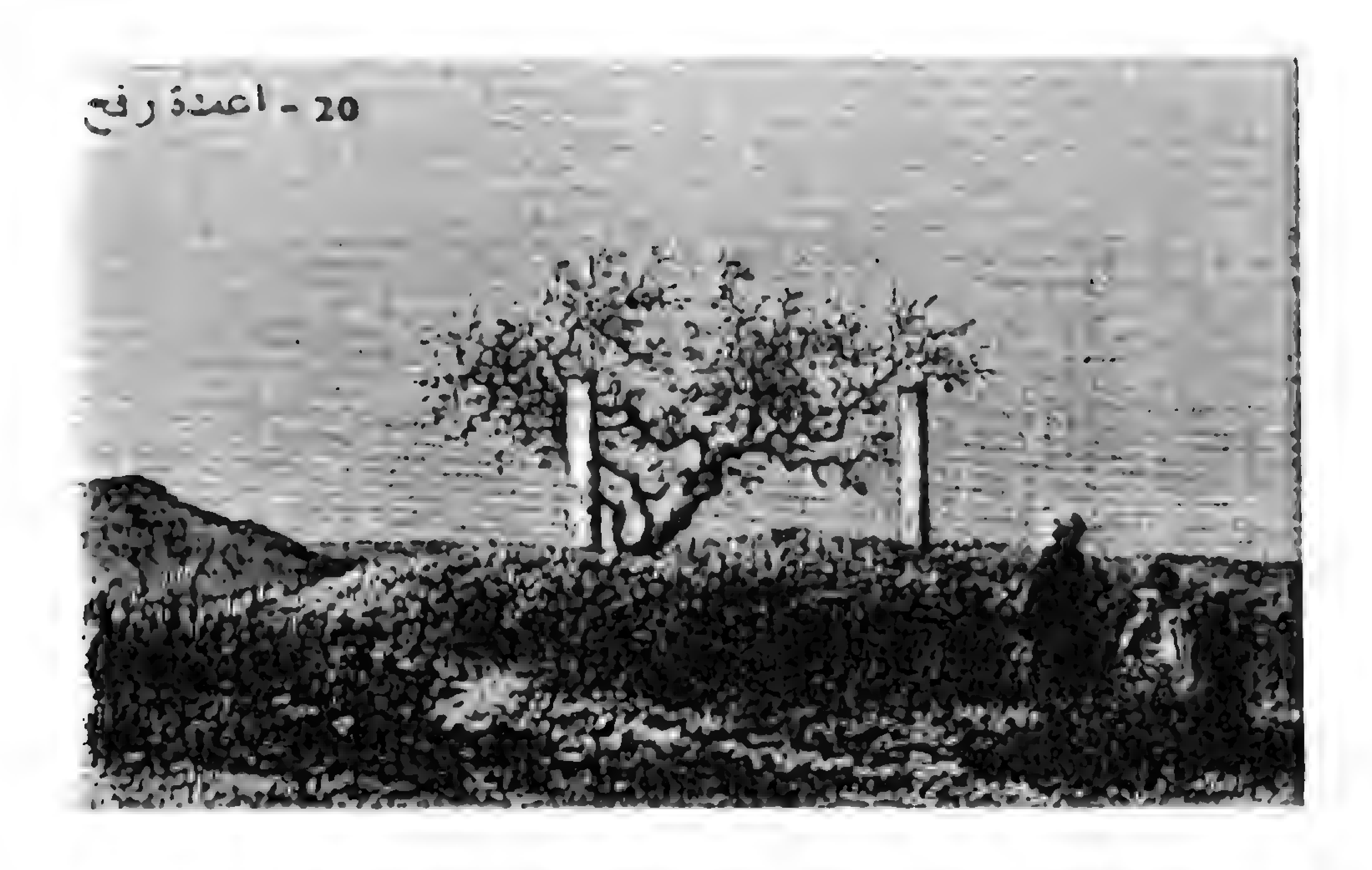
١٧ - ملاحة للشيخ زويد



١٥ - معسكر القافلة في الشيخ زويد



١٦ - سجر الامير



20 - اعمدة رفح



21 - قلعة خان يونس


- قطيا


22 - حرار غزة



23 - مدخل السوق - غزة

قائمة المصادر والمراجع.

أولًا: المصادر العربية.

1. ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفي، سلسلة النشريات الاسلامية، جمعية المستشرقين الالمانية، مطبعة الدولة، استانبول،1354هـ / 1936م.
2. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1413هـ / 1992م.
3. ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط المعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج3، ج 6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1421هـ / 2000م.
4. ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، دار الهلال، القاهرة ، 1423هـ / 2002 م.
5. ابن منظور: لسان العرب، ج1، ج5، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ / 1994م .
6. أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلي مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1426هـ / 2005م .
7. الأزدي: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، ج1، ج 3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،1408هـ / 1987م .
8. الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ / 2002م.

9. تغريبة بني هلال الكبري، ج12 ، قصة البردويل بن راشـد، مكتبـة الأندلس، بيروت، لبنان، 1322 هـ / 1900 م .
10. البخاري: صحيح البخاري المعروف بـ " الجـامع المسـند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسـلم وسـننه وأيامه "، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج2، ط1، دار طوق نجاة، 1422هـ / 2002م.
11. البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقـاع، ج3، ج2 ، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ / 1992م.
12. الحموي: المصباح المنير في غريـب الشـرح الكبيـر، ج2، المكتبة العلمية، بيروت ، د. ت.
13. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسـان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1400هـ / 1980م .
14. الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري وآخـرون، ج4، ج 6، ج8، ط1، دار الفكـر المعاصر، بيروت، لبنان، 1420 هـ / 1999م.
15. الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمـد، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ / 1999م .
16. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:عبد العزيز مطر، راجعه: عبد السـتار أحمـد فـراج، ج8، ج 25، ج 32، ط2، سلسلة التراث العربي، عدد 16، وزارة الإرشاد والأنبـاء، الكويـت، 1414هـ / 1994م.
17. الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسـان عباس، ج5، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1401هـ / 1981م.

18. العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408 هـ / 1988 م.
19. العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (784 – 801 هـ / 1382 – 1398م)، تحقيق: إيمان عمر شكري، ضمن كتاب السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، سلسلة صفحات من تاريخ مصر، عدد 55، ط ا، مكتبة مدبولي، القاهرة،1423 هـ / 2002م.
20. الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ترجمة: أحمد عبد الغفور عطار، ج 2، ج4، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ / 1987م.
21. الفراهيدي: العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج7، ج8، دار الهلاك، القاهرة، د.ت .
22. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ / 1991م.
23. النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1406هـ / 1986م.
24. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب،ج12، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ / 2002 م.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ج2، ج 3، ج 4، ج5، ط2، دار صادر، بيروت، 1415 / 1995م.

ثانيًا: المصادر الأجنبية:

1. Albert Of Aachen , History Of The Journey To Jerusalem , (ed. And Trans). by , Edginton , Susan.B ,

first published , Oxford university press , NewYork , 2007.

2. Anonymous Pilgrim (Pseudo DeDo) , (12 th Century) , Trans.by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol.VI, London ,1894.
3. Anonymous Pilgrim II (12 th century), Trans.by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol.VI, London ,1894.
4. Anonymous Pilgrim IV (Not earlier than 12 th century), Trans.by , Stewart ,Aubery , in.P.P.T.S., vol.VI, London ,1894.
5. Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem And The Holy Land (1102, 1103.A.D) , Trans by , Brownlow, canon , in , P.P.T.S., vol.IV , London , 1892
6. Saewulf , Pilgrimage Of Saewulf To Jerusalem
7. Theoderich , Description Of The Holy Places (circa 1172 A.D) , Trans. By , Stewart , Aubrey , in.P.P.T.S., vol.V , London , 1891.

ثالثًا: المصادر الأجنبية المعربة:

1. بينامين بن بونة: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ / 2002 م.
2. يعقوب القيتري: تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان،1419هـ / 1998م.
3. يوحنا فورزبورغ: وصف الأرض المقدسة، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن،1418هـ / 1997م.

رابعًا: المراجع العربية.

1. إبراهيم مصطفي وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1400هـ / 1979 م.
2. أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 1434هـ / 2013 م.
3. أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة،1398هـ/ 1977م.
4. أحمد عيسى بك: معجم أسماء النبات، ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1349هـ / 1930م.
5. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ج3، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ / 2008م ، ص231
6. أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ/1996 – 1997 م، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ / 1996.
7. جودة حسنين جودة و فتحي محمد أبو عيانة: قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية،1406هـ / 1986م.
8. حاتم عبد الرحمن الطحاوي: الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط1، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ، 1420هـ / 1999م.
9. حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، محاضرة ألقيت بالمجمع العلمي المصري في جلسة 14 أبريل 1955 م، Bulletin de l'Institue d'Egypte , vol. 37 , le caire , 1955.

10. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، " صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، ج1، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1391هـ / 1971م، ص 25: 27، ص37، 39.
11. سعيد عبد الفتاح عاشور: نظم الحكم والادارة في عصر الأيوبيين والمماليك. المرأة في الحضارة العربية، المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، ط1، الموسسة العربية للدراسات والنشر، 1407هـ / 1987م.
12. عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط1، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، 1402هـ / 1982م.
13. عبد الحميد الثاني: مذاكراتي السياسية، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ / 1986م.
14. عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا المناخية والنباتية، ط11، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 1381هـ / 1961م.
15. عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1400هـ / 1980م.
16. عبده مباشر و إسلام توفيق: سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف،القاهرة، 1398هـ / 1978 م.
17. قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، ط1، دار عين للدراسات، القاهرة، 1419هـ / 1999م.

18. محمد بن محمد حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط1، دار القلم، دمشق، 1411هـ / 1991 م.
19. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة 1945م، ج1، ق2، البلاد الحالية ، المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414هـ / 1994 م .
20. محمد علي: الرحلة الشامية (1910)، تحرير وتقديم: علي أحمد كنعان، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 1423هـ / 2002 م
21. محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، ط2، مطبعة الجمالية، مصر، 1329هـ / 1911 م.
22. مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج1، ق2، دار الهدى، كفر قرع، 1411هـ / 1991 م.
23. يوسف عبد المجيد فايد: جغرافية المناخ والنبات، دار النهضة العربية القاهرة، 1394هـ / 1974م.
24. نعوم شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلي اليوم، تقديم: محمد إبراهيم أبو سليم، ط6، دار الجيل، بيروت، 1411هـ / 1991م.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

1. " Crossing The Desert Caravan " , in , penny magazine of the society for the diffusion of useful knowledge , vol. 394 , London , may.1838.
2. Yosef, Reuven, Family Laniidae (Shrikes) , In Josep, del Hoyo; Andrew, Elliott; David, Christie , Handbook of Birds of the world , Volume 13, Penduline-tits to Shrikes. Barcelona, Lynx Edicions , 2008.
3. C. H. Scholtz & E. Holm , Insects of southern Africa , Butterworths, 1985.
4. Clancey, P.A. , Encyclopaedia of Animals: Birds, (ed) Forshaw, Joseph, London: Merehurst Press , 1991.
5. George long , on the sacred animal of Egypt , the british museum , egyptain antiqities , vol.2 , London , 1836.
6. Hideaki Ohba , The taxonomic status ofSedum telephium and its allied species (Crassulaceae) , shokubutsu- gaku zasshi , march 1977, vol.90 , issue. 1.
7. Hoyo, J. del, et al., Handbook of the Birds of the World, vol. 10. Barcelona: Lynx Edicions , 2005.
8. Hale , Rachael , Dogs , 101 Adorable Breads , Andrws Mcheel Publishing Leighton , Robert , The Nw Book Of The Dogs , Cassell Company Limited , 1907.
9. Maurice burton and Robert burton , scarab beetle , vol. 16 , the international wild life encyclopedia , (3rd ed) , marshall , cavedish , 2002.
10. pat remler , egyptain mythology Atoz , (3rd ed) , infobase publishing , new york ,
11. Philip Henderson , Richard Coeur de lion , New York , 1959.
12. Sangster, G., Alström, P., Forsmark, E., & Olsson, U. , Multi-locus phylogenetic analysis of Old World chats and flycatchers reveals extensive paraphyly at family,

subfamily and genus level (Aves: Muscicapidae). Molecular Phylogenetics and Evolution , 2010.
13. stanislav Gorb , Attachement Devices Of Insect Cuticle , London , 2001.
14. Stevens, Anthony , Ariadens clue: Aguide to symbols of humankind , (1st ed) , united state , 2001.

سادسًا : المراجع الأجنبية المعربة:

1. السيد أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، دار العرب، القاهرة،1409هـ / 1988م .
2. فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الالمانية: كامل العسلي، مراجعة: عبد العزيز الدوري، منشورات الجامعة الأردنية، عمان،1390 هـ / 1970م.

الفهرس



Bibliotheca Alexandrina
15023347

I.S.B.N978-977-276-949-0
9 789772 769490